أين تذهب هذا المساء

محمد حامد

الناشر الدولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع أثره واقتفى.

ثم أما بعد..

أين تذهب هذا المساء؟

لما نسأل الآخرين هذا السؤال ، فإننا نسمع إجابات مختلفة ، وردود متباينة معظمها مما لا يرضي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

فمن يريد أن يذهب لمرقص من المراقص .

ومن يريد أن يذهب إلى فتاته المنتظرة على الكورنيش .

ومن يريد أن يذهب مع رفقائه لتدخين الشيشة والجلوس على إحدى مقاهي وسط البلد .

ومن يريد أن يذهب إلى سهرة حمراء – كما يسمونها – في إحدى شقق رفقائه.

ومن يريد أن يذهب إلى الخمارة لتناول كأسا أو كأسين .

ومن ومن ومن ومن .....

لكن أنا في هذا الكتاب أريد أن أذهب بك إلى مكان آخر ، إلى جو جديد ، إلى رفقاء غير هؤلاء الرفقاء .

أريد أن أذهب بك حيث الحسنات هناك تنتظرك ، والملائكة ممسكة بالسجلات تقيد وتكتب لك حسناتك لمَّا ذهبت هناك .

فهل فكرت يومًا ما أن تذهب إلى هناك ؟!

حيث الأجر الكبير ، والحسنات تثقل موازينك يوم الميعاد.

ولن أطيل عليك ، فهيا بنا نذهب إلى :

١ـ قضاء حوائج المسلمين

خرج من قريته بعد أن تآمر علية القوم على قتله، خرج منها وهو خائفاً متلفتاً يتوقع الشر في كل لحظة، هارباً يسعى بكل طاقته ليس معه مال وليس معه متاع .

مشى ..ومشى حتى انتهى به المطاف إلى قرية، فوصل وقد أنهكه التعب والجوع والظمأ، وما كاد يجلس على الأرض ليستريح من عناء السفر المتعب حتى رأى منظراً استفز فيه شهامته ورجولته ونخوته ودينه فماذا رأى..؟

رأى فتاتين عفيفتين طاهرتين تتحاشيان الاختلاط بالرجال معهما أغنامهما ؛ وعلى الرغم من أنه لا يعرفهما، وليس له حاجة عندهما إلا أنه رأى أنها فرصة لأن يكسب الأجر عند الله بقضاء حاجتهما ، وعلى الرغم من حرارة الجو و ما كان يعانيه من تعب السفر إلا أنه بادر لقضاء حاجتهما فسقى لهما. ثم بعد أن أنجز تلك المهمة لم يطلب منهما أجرة ما عمل أو انتظر منهن كلمة شكر، إنما تولى إلى الظل ليستظل من تلك الحرارة الشديدة.

أعلمتم من هو ذلك الشاب؟؟

إنه رسول من أولي العزم من الرسل إنه كليم الله موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم، خلد الله لنا عمله ذلك في كتابه إلى يوم القيامة ليظل علماً للبشرية في مجال قضاء حوائج الناس واستمعوا لربكم يقص عليكم ذلك الموقف :(فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن

يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾) [القصص : ٢١ – ٢٤].

أذهبَ عمله ذلك هباء ؟ لا .

لقد تكفل بثمن عمله رب العالمين واسمعوا للثمن(فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾) [القصص : ٢٥ – ٢٧] .

الله أكبر أمان بعد الخوف، ورزق بعد الفقر، وزوجة بعد العزوبة، هذا مع ما ينتظره من الأجر في الآخرة.

قضاء حوائج الناس خُلق أصحاب الفطرة السليمة، ومن باب أولى أن تكون سجية المتقين، والمؤمنين.

فهذا رسولنا صلى الله عليه وسلم قبل بعثته كان من ضمن شمائله الكريمة: قضاء حوائج الناس، كما أثنت بها عليه زوجه الوفية خديجة رضي الله عنها وأرضاها. حيث قالت له يوم أن جاء فزعاً من الغار في بداية الوحي: (كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ

وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ).

وبعد الرسالة كان سعيه في ذلك أشد، حيث كانت الجارية الصغيرة (الطفلة الصغيرة) تأخذ بيده الشريفة فتنطلق به في شوارع المدينة وهو أكبر سلطة سياسية في ذلك الزمان، فيمضي معها حتى يقضي حاجتها.

زانتك في الخُلق العظيم شمائلٌ يُغرىَ بهن ويولع الكرماء

فإذا سخوت بلغت بالجود المدى وفعلت ما تفعل الأنواء

وإذا عفوت فقادراً ومقدراً لا يستهين بعفوك الجهلاء

وإذا رحمت فأنت أم أو أب هذان في الدنيا هم الرحماء

قضاء حوائج الناس باب عظيم للخير، فقد أخرج ابن أبي الدنيا عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قوله:((إن لله عباداً اختصهم بقضاء حوائج الناس،حببهم إلى الخير،وحبب الخير إليهم،هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة)).

بشروا من يسعى في قضاء حوائج الناس بقضاء حوائجه ففي الصحيحين عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

والكُربة : هي الشِّدَّةُ العظيمة التي تُوقعُ صاحبَها في الكَرب ، وتنفيسُها أن يُخفَّفَ عنه منها ، مأخوذٌ مِنْ تنفيس الخناق ، كأنه يُرخى له الخناق حتَّى يأخذ نفساً ، والتفريجُ أعظمُ منْ ذلك ، وهو أنْ يُزيلَ عنه الكُربة ، فتنفرج عنه كربتُه ، ويزول همُّه وغمُّه ، فجزاءُ التَّنفيس التَّنفيسُ ، وجزاءُ التَّفريج

التَّفريجُ.

فمن كان الله في حاجته أتظنون أنه يخيب ..؟

بعض الناس قد يغرّه المنصب والوجاهة والمكانة، فيترفع عن قضاء حوائج الناس.

فنقول له هذا خير الأمة بعد نبيها الصديق رضي الله عنه كان يواظب على خدمة عجوز مقعدة، فبعد أن ولي الخلافة ذهب عمر رضي الله عنه لقضاء حوائجها ظاناً أن أبا بكر ستشغله الخلافة- ولو بشكل مؤقت- عن ذلك العمل؛ فإذا به يجد أن الخليفة قد سبقه لذلك !

وهذا الفاروق عمر رضي الله عنه وهو خليفة وجد وهو يعسُّ بالليل امرأة في حالة المخاض تعاني من آلام الولادة فحثَّ زوجته على قضاء حاجتها،وكسب أجرها فكانت هي تمرض المرأة في الداخل وهو في الخارج ينهمك في إنضاج الطعام بالنفخ على الحطب تحت القدر حتى يتخلل الدخان لحيته، وتفيض عيناه بالدمع لا من أثر الدخان الكثيف فحسب؛ بل شكراً لله أن هيأه وزوجته لقضاء حوائج الناس!

فما أشد حرمان من لم يوفق لقضاء حوائج الناس وأشد منه خسارة وبؤساً من سعى في تعطيل حوائج الناس.

وإلى كل من جعل الله حاجة الناس إليه فبدأ يتبرم ويضيق بتلك الحاجات أقول له: احمد الله أن جعل حوائج الناس إليك، ولم يجعل حاجتك إلى الناس .

أقول له: من الذي أعطاك ما أعطاك فاحذر أن تترفع وتحتجب عن حاجات الناس فيمتنع الكريم عن حاجتك ، وقد يبدل الله حالك فيجعل حاجتك إلى الناس بدلاً من أن تكون حاجات الناس إليك.

معاشر من يسعى في قضاء حوائج العباد المؤمنين اعلموا أنه ليس من قضاء حوائج الناس مساعدتهم على ارتكاب المنكر،كما أنه ليس من قضاء حوائج الناس أن تقضى حوائج الأقارب والمعارف على حساب الآخرين.

أيها الأحبة في الله إذا كان الله قد شكر لامرأة زانية وغفر لها زناها لأنها سعت في قضاء حاجة كلب عطش ، فكيف بمن يقضي حاجة عبد مؤمن موحد؟كيف بمن يقضي حاجة جاره؟ كيف بمن يقضي حاجة زوجه وأولاده؟كيف بمن يقضي حاجة والديه من أم أو أب؟

أيها الأخ الحبيب استمع إلى شيء من أقوال المصطفى صلى الله عليه وسلم التي تدل ترابط المؤمنين وتعاونهم والشعور بالألفة المتبادلة بينهم قال: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) وقوله صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا أشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)وقوله صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) فهذه من الحقوق الإيمانية التي تجب للمؤمن على أخيه .

وقوله صلى الله عليه وسلم (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) فنصرته ظالماً بردعه عن الظلم، وذلك نصرة على نفسه الأمارة بالسوء ، ونصرته مظلوماً برفع الظلم عنه ، ويدل ذلك على عظم مكانة الأخوة في كلا الحالين .

أخي الحبيب اسمع معي إلى نزر يسير يشير إلى فضل قضاء حوائج الإخوان واصطناع المعروف فمن ذلك :-

قال صلى الله عليه وسلم (أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور يدخله على مسلم ، أو يكشف عنه كربه أو

يقضي عنه ديناً أو يطرد عنه جوعاً ، ولأن أمشي مع أخ في حاجه أحب إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد – مسجد المدينة - شهراً ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كتم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ، ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام ..) .

قال أبو العتاهية :

اقض الحوائج ما استطعـ ـت وكن لهمِ أخيك فارج
فلخـــــــــــــير أيام الفتى يـــــــــوم قضى فيه الحوائج

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة والله في عون العبد مادام العبد في عون أحيه ..) .

قال الضحاك في قوله تعالى: (إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾) [يوسف: ٣٦] في قصة يوسف عليه السلام – كان إحسانه إذا مرض رجل في السجن قام عليه ، وإذا ضاق عليه المكان وسع له إذا احتاج جمع سأل له

وقيل لابن المنكدر أي الأعمال أفضل ؟ قال : إدخال السرور على المؤمن . قيل أي الدنيا أحب إليك ؟ قال الإفضال على الإخوان . أي التفضل عليهم والقيام بخدمتهم .

وقال وهب بن منبه : إن أحسن الناس عيشاً من حسن عيش الناس في عيشه، وإن من ألذ اللذة الإفضال على الإخوان.

فوائــد قضاء الحوائـــج

أخي الحبيب لقضاء الحوائج فوائد فهاك بعضاً منها :

- فمن فوائده: عظم الأجر المترتب عليه كما سمعت فيما سبق، و لذلك يقول ابن عباس : لا يزهدنك في المعروف كفر من كفره فإنه يشكرك عليه من لم تصنعه إليه ، أيضاً استمع إلى ما يقابل ذلك كان يقال : لا يزهدنك في المعروف من يسديه إليك ، ولا ينبو ببصرك عنه ، فإن حاجَتَك في شكره ووفائه لا منظره ، وإن لم يكن أهله فكن أهله .

قال عمرو بن العاص : في كل شيء سَرَفٌ إلا في ابتناء المكارم أو اصطناع المعروف ، أو إظهار مروءة .

ولم أر كالمعروف أما مذاقه فحلوُ وأما وجهه فجميل

- ومن فوائد قضاء الحوائج : حفظ الله لعبده في الدنيا كما في الحديث القدسي (يابن آدم أنفق ينفق عليك) وقد قيل (صنائع المعروف تقي مصارع السوء) .

- قال ابن عباس : صاحب المعروف لا يقع، فإن وقع وجد متكئاً . كان خال القسري يقول : على المنبر أيها الناس عليكم بالمعروف فإن فاعل المعروف لا يعدم جوازيه وما ضعف عن أدائه الناس قوي الله على جوازيه قال الحطيئه :

من يفعل الخير لا يعدم جوازه لا يذهب العرف بين الله والناس

آداب قــضاء الحـوائـــــج

اعلم أن لقضاء الحوائج واصطناع المعروف آداب كثير منها :-

- الإخلاص في الأعمال، وعدم المنّ بها .قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : لا يتم العمل إلا بثلاث: تعجيله، وتصغيره، وستره فإنه إذا عجله هنَّأه وإذا صغَّره عظمه وإذا ستره تممه .

جوداً مشيت به الضراء تواضعاً وعظمت من ذكراه وهو عظيم
أخفيته فخفيته وطويتَه فنشرتُه والشخص منك عميم

وكان يقال : ستر رجل ما أولى ، ونشر رجل ما أُولي . وقالوا المنة تهدم الصنيعة .

أفسدت بالمنِّ ما أسديت من عمل ليس الكريم إذا أسدى بمنان

قال رجل لابن شبرمة : فعلت بفلان كذا وكذا ، وفعلت به كذا فقال : لا خير في المعروف إذا أحصي .

واعلم أن من علامات الإخلاص : استواء المدح والذم من العامة ، ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال ، واقتضاء ثواب الأعمال في الآخرة .

- ومن الآداب إتمام العمل : فهل تعلم أن بعض الناس يبدأ في عمل ما ويصطنع المعروف وقد يجتهد فيه، لكنه لا يتمه وأحياناً قد يقارب الإنتهاء ثم يتركه وقد قال أحد السلف : رُب المعروف أشد من ابتدائه .

والمقصود به رُب العمل : تنميته تعهده . ويقال :الابتداء بالمعرف نافلة ربه فريضة . أي إتمامه . وقد جاء في صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه) ومن إتقان العمل إتمامه .

- ومن الأدب طلب الحاجة من الكريم دون اللئيم : فعندما يطلب منك أي عمل فاعلم أن الحاجة لا تطلب إلا من كريم، وقد أحسن الظن بك من

طلب أداء العمل واستمع إلى قول ابن عباس : ثلاثة لا أكافئهم : رجل بدأني بالسلام ، ورجل وسع لي في المجلس ، ورجل اغبرت قدماه في المشي إرادة التسليم علي ، فأما الرابع : فلا يكافئه عني إلا الله عز وجل ، قيل فمن هو ؟ قال : رجل بات ليلته يفكر بمن ينزله ثم رآني أهلاً لحاجته فأنزلها بي أراد بذلك من طلب المعونة منه .

كان يقال : لا تصرف حوائجك إلى من معيشته في رؤوس المكاييل والموازين .

وروي عن أبي الأسود الدؤلي :

وإذا طلبت إلى كريمٍ حاجةً فلقاؤه يكفيـــك والتسليم
وإذا طلبت إلى لئيمٍ حاجةً فألح في رفقٍ وأنت مديم

وقال آخر:

لا تطـلنَّ إلى لئيـــم حاجة واقعد فإنـــك قائم كالقـــــاعد
يا خادع البخلاء عن أموالهم هيهات تضرب في حديد بارد

- ومن الآداب الشكر والثناء : وهذا أدب لصاحب الحاجة يفتقر إليه بعض الناس، وكان من الواجب على صاحب الحاجة أن يبالغ في الشكر والثناء لمن قضى له حاجته ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله ، قال صلى الله عليه وسلم (من صُنِعَ إليه معروف ، فقال لفاعله : جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء) .

- قال بعض الحكماء : إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر . وقال آخر : حق النعمة أن تحسن لباسها وتنسبها إلى تذكر ما تنسى عندك منها ، وما أجمل قول القائل :

سعيت ابتغاء الشكر فيما صنعت بي فقصرت مغلوباً وإني لشاكر

ولكن هل سمعت قول القائل :

وزهدني في كل خير صنعتُه إلى الناس ما ألقاه من قلة الشكر

- وهذه مجموعة آداب يرويها خالد بن صفوان : لا تطلبوا الحوائج في غير حينها ، ولا تطلبوها لغير أهل ، ولا تطلبوا ما لستم له بأهل فتكونوا للمنع خلقاء .

نماذج وآثار لسلف هذه الأمة

- أخيراً أخي الحبيب أقف معك على نماذج رائعة لسلف هذه الأمة الذين عندما علموا عظم الأجر المترتب على اصطناع المعروف وقضاء الحوائج وما فيه من النفع المتعدي سارعوا إليه وضربوا لنا أروع الأمثلة فمن ذلك :

- ما خرَّجه الإمام أحمد من حديث ابنة لخباب بن الأرت قالت : خرج خباب في سريه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعاهدنا حتى يحلب عنزة لنا في جفنة لنا فتمتلئ حتى تفيض .

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يحلب للحي أغنامهم فلمَّا استخلف قالت جارية منهم : الآن لا يحلبها . فقال أبو بكر وإني لأرجو ألا يغرني ما دخلت فيه – يعني الخلافة – عن شيء كنت افعله أو كما قال .

- وكان عمر يتعاهد الأرامل فيسقي لهن الماء بالليل، ورآه طلحة بالليل يدخل بيت امرأة ، فدخل إليها فإذا هي عجوز عمياء مقعدة فسألها ما يصنع هذا الرجل عندكِ . قالت : هذا له منذ كذا وكذا يتعاهدنا يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى ، فقال طلحة : ثكلتك أمك يا طلحة عثرات عمر تتبع .

- كان أبو وائل يطوف على نساء الحي وعجائزهم كل يوم ، فيشتري لهن حوائجهن وما يصلحهن .

- وقال مجاهد : صحبت ابن عمر في السفر لأخدمه، فكان يخدمني.

- وكان كثير من الصالحين يشترط على أصحابه في السفر أن يخدمهم.

- وكان رجل من الصالحين يقول اللهم بلغني عثرات الكرام، حتى يقيمها.

- في الصحيحين عن أنس قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في السفر فمنا الصائم ومنا المفطر، قال: فنزلنا في يوم حارٍّ أكثرنا ظلاً صاحب الكساء ومنا من يتقي الشمس بيده، قال: فسقط الصوام وقام المفطرون، وضربوا الأبنية وسقوا الركاب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ذهب المفطرون بالأجر)) .

- قال عبد الله بن عثمان – شيخ البخاري - : ما سألني أحدٌ حاجة إلا قمت له بنفسي فإن تم وإلا استعنت له بالسلطان .

قصة واقعية:

يذكر أن رجلا يسمى ابن جدعان قال: خرجت في فصل الربيع، وإذا بي أرى إبلي سماناً، يكاد الربيع أن يفجر الحليب من ثديها، وكلما اقترب الحوار- ابن الناقة- من أمه درت عليه، وانهال الحليب منها لكثرة الخير والبركة، فنظرت إلى ناقة من نياقي ابنها خلفها، وتذكرت جاراً لي له بُنيات سبع فقير الحال، فقلت: والله لأتصدقن بهذه الناقة وولدها لجاري، والله يقول :(لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ) [آل عمران :٩٢]، وأحب حلالي هذه الناقة، يقول: فأخذتها وابنها، وطرقت الباب على الجار، وقلت: خذها هدية مني لك، فرأيت الفرح في وجهه لا يدري ماذا يقول،

فكان يشرب من لبنها ويحتطب على ظهرها، وينتظر وليدها يكبر ليبيعه، وجاءه منها خير عظيم.

فلما انتهى الربيع وجاء الصيف بجفافه وقحطه، تشققت الأرض، وبدأ البدو يرتحلون يبحثون عن الماء في الدحول- والدحول هي حفر في الأرض توصل إلى محابس مائية أو أقبية مائية تحت الأرض، له فتحات فوق الأرض يعرفها البدو.

يقول: فدخلت في هذا الدحل حتى أحضر الماء لنشرب- وأولاده الثلاثة خارج الدحل ينتظرون- فتاه تحت الأرض، ولم يعرف الخروج. وانتظر أبناؤه يوماً ويومين وثلاثة حتى يئسوا، قالوا: لعل ثعباناً لدغه ومات، أو لعله تاه تحت الأرض وهلك، وكانوا- عياذاً بالله- ينتظرون- هلاكه طمعاً في تقسيم المال والحلال، فذهبوا إلى البيت وقسموا وتذكروا أن أباهم قد أعطى ناقة لجارهم الفقير، فذهبوا إليه وقالوا له: أعد الناقة خيراً لك، وخذ هذا الجمل مكانها، وإلا سنسحبها عنوة الآن، ولن نعطيك شيئاً.

قال: أشتكيكم إلى أبيكم.

قالوا: اشتك إليه، فإنه قد مات!!

قال: مات!! كيف مات؟ وأين مات؟ ولِم لم أعلم بذلك؟

قالوا: دخل دحلاً في الصحراء ولم يخرج.

قال: ناشدتكم الله اذهبوا بي إلى مكان الدحل، ثم خذوا الناقة، وافعلوا ما شئتم ولا أريد جملكم.

فذهبوا به، فلما رأى المكان الذي دخل فيه صاحبه الوفي، ذهب وأحضر حبلاً، وأشعل شمعة، ثم ربط نفسه خارج الدحل، ونزل يزحف

على قفاه حتى وصل إلى أماكن فيها يحبو، وأماكن فيها يزحف، وأماكن يتدحرج، ويشم رائحة الرطوبة تقترب، وإذا به يسمع أنين الرجل عند الماء، فأخذ يزحف تجاه الأنين في الظلام، ويتلمس الأرض، فوقعت يده على الطين، ثم وقعت يده على الرجل.

فوضع يده على أنفاسه فإذا هو حي يتنفس بعد أسبوع، فقام وجره، وربط عينيه حتى لا تنبهر بضوء الشمس، ثم أخرجه معه خارج الدحل، ومرس له التمر وسقاه، وحمله على ظهره، وجاء به إلى داره، ودبت الحياة في الرجل من جديد، وأولاده لا يعلمون، فقال: أخبرني بالله عليك أسبوعاً كاملاً وأنت تحت الأرض ولم تمت، قال: سأحدثك حديثاً عجباً، لما نزلت ضعت، وتشعبت بي الطرق، فقلت: آوي إلى الماء الذي وصلت إليه، وأخذت أشرب منه، ولكن الجوع لا يرحم، فالماء لا يكفي.

يقول: وبعد ثلاثة أيام، وقد أخذ الجوع مني كل مأخذ، وبينما أنا مستلق على قفاي، قد أسلمت وفوضت أمري إلى الله، وإذا بي أحس بدفء اللبن يتدفق على فمي.

يقول: فاعتدلت في جلستي، وإذا بإناء في الظلام لا أراه، يقترب من فمي فأشرب حتى أرتوي، ثم يذهب، فأخذ يأتيني ثلاث مرات في اليوم. ولكنه منذ يومين انقطع ما أدري ما سبب انقطاعه؟

يقول: فقلت له: لو تعلم سبب انقطاعه لتعجبت، ظن أولادك أنك مت، وجاءوا إلي وسحبوا الناقة التي كان الله يسقيك منها، والمسلم في ظل صدقته.

٢- السعي في الشفاعة للآخرين لدى المسئولين وذوي السلطان

قـــال تعـــالى :(مَّن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا) [النساء : ٨٣].

الشفع هو الزوج ، والوتر هو الفرد ، وشَفِعَ بمعنى قرن ، وهذه الآية أصلٌ في أن أيَّة حركةٍ من حركات الإنسان تؤدي إلى جمعٍ بين شيئين ، إن كان هذا الجمع على خير ، فلهذا الذي جمع على خير نصيبٌ وافرٌ من هذا الجمع ، وإن كان هذا الجمع انتهى إلى شر ، فهناك وزرٌ يتحمله من كان سبباً في هذا الجمع .

وربما كانت هذه الآية من أدق الآيات التي تحدد الطريق الصحيح في علاقات الإنسان الاجتماعية ، أنت لو جمعت بين اثنين على خير ، فأي خيرٍ من هذا الجمع لك منه نصيب ، لو دللت إنساناً على الحق ، فكل الخير الذي سيصدر عن هذا الإنسان ، عنه وعن ذريته إلى يوم القيامة لك منه نصيب ، لو دللته على هدى ، لو دللته على عملٍ صالح ، لو دللته على ترك معصيةٍ أو مخالفة ، أية دلالةٍ تدل بها إنساناً ، كأنك تشفع بينه وبين هذه الدلالة ، بينه وبين هذا الهدى ، بينه وبين هذا الحق ، أي لقاءٍ بين اثنين ؛ كنت سبباً في زواجٍ ميمون ، جمعت بين أخوين ، جمعت بين شريكين ، دللت هذا الإنسان ليشارك هذا الإنسان ، الأول مؤمن والثاني مؤمن ، فحصل الخير العميم من هذه الشركة ، لك منها نصيب ، دللت إنساناً على الدعاء ، فكل الفضائل التي تأتيه من الدعاء ، لك منه نصيب ، دللته على التوكُّل ، دللته على الافتقار إلى الله عزَّ وجل ، دللته على الطاعة ، دللته

علـى أفعـال الخيـر ، أي شـفاعةٍ بـين شيئين ؛ أي جمـعٍ بـين شيئين ، ولـو أن الأول من بني البشر والثاني من نوعٍ آخر ، جمعت بين هذا الإنسـان وبـين الدعاء ، بينـه وبـين التوكـل ، بينـه وبـين الطاعـة ، بينـه وبـين شـريكٍ آخـر ، جمعت بين زوجين ، وفّقت بين أسرتين ، أية شفاعةٍ حسنة لك منها نصيب ، وأية شفاعةٍ سيئة عليك منها وزر ..

دللته على طريقةٍ في التعامل مع الناس ، وقع من خلالها بمعصية الله عزَّ وجل ، عليك من هذه الشفاعة وزر ، وإثم ، وحِمْل .

فانتبه أيها الأخ الكريم ، اجعل حركاتك وسكناتك وفق الخير ، لأنك إن دللت على الخير فأنت كفاعل الخير ، أحياناً قد يجتمع رجالٌ ونساء بدعوةٍ منك ، وأنت لا تدري أن هذا الجمع قد أوقعهم في مخالفةٍ للشرع ، لو أنك جمعت بين كل أصهارك وبين زوجاتهم على مائدةٍ واحدة ، فنظر هذا الصهر إلى زوجة عديله ، أو إلى أخت زوجته ، لو أنه نشأ فسادٌ ، أو نشأت تمنِّيات ، أو نشأت محاورات ، أو نشأت نظرات ، هذا الذي جمع بين هؤلاء جميعاً على مائدةٍ واحدة ؛ باسم الكرم ، وباسم الألفة ، وباسم المحبَّة ، وباسم لمِّ الشمل وجمع الشتات ، إنه شفع شفاعةً سيئة ، فعليه وزر هذه الشفاعة ..

نصحت إنساناً ليفعل شيئاً أدى به الأمر إلى معصية الله ، وأنت لا تدري، على هذا الذي نصح وزرٌ ثقيل ، هذه الآية في سورة النساء رقمها خمسٌ وثمانون ..

إذاً قبل أن تنبس ببنت شفة ، قبل أن تنطق ، قبل أن تنصح ، قبل أن توجه ، قبل أن تدعو ، قبل أن تجمع ، قبل أن تفعل ، انظر إلى هذه الآية ، ما الكسب الذي تكسبه من هذا اللقاء ، من هذا الجمع ، من هذه الدلالة ؟ وما

الوزر الذي تتحمله فيما لو نتج عن هذه الشفاعة معصية ، أو مخالفة ، أو فتنة ، أو بُعد ، أو شقاق ، أو ما شاكل ذلك ؟ .

من سنة الله في الكون هذا التفاوت الحاصل بين الناس، فمنهم الغني والفقير، ومنهم الشريف ودون ذلك، ومنهم ذو الجاه والمنزلة ومنهم دون ذلك.

والناس يحتاج بعضهم إلى بعض، كما قد يخطئ بعضهم فيتعرض لعقوبة من يستطيع عقوبته،فيحتاج إلى من يساعده في دفع العقوبة عنه – في حدود ما يسمح به الشرع- من أجل ذلك وغيره حث الإسلام على الشفاعة ورغَّب فيها، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه السائل أو طلب إليه حاجة قال: " اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء".

مظهر من مظاهر الرحمة:

إن الشفاعة مظهر من مظاهر الرحمة؛ فحين يخطئ الإنسان خطأً ليس له حدٌ شرعي واجب التنفيذ، لكنه يعرض المخطئ لعقوبة ذي سلطان أو قادر على الانتقام، فمن الرحمة بالمخطئ حين يقر بخطئه ويرجو العفو أن يشفع له من تنفعه شفاعته عند هؤلاء، وقد حدث ذلك مع الحر بن قيس مع عمه عيينة بن حصن حين دخل الأخير على عمر بن الخطاب فأغضبه قائلاً: "والله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم فينا بالعدل". فلما رأى الحر ما طرأ على أمير المؤمنين جراء هذا الكلام السيئ وخاف على عيينة غضب الفاروق شفع عنده قائلاً: يا أمير المؤمنين، إن الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم:(خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾)

[الأعراف:١٩٩] وإن هذا من الجاهلين – يقصد عمه عيينة – فعفا عنه أمير المؤمنين".

الشفاعة لقضاء الحاجات:

حين تكون لإنسان حاجة مباحة عند إنسان آخر، فمن الرحمة بصاحب الحاجة أن يشفع له من يستطيع من المسلمين لقضاء حاجته. وقد رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادر إلى الشفاعة عند الآخرين ليقضوا حوائج غيرهم، فقد توفي والد جابر بن عبد الله وترك عليه ثلاثين وَسْقًا لرجل من اليهود فاستنظره جابر فأبى أن ينظره، فكلم جابر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفع له إليه، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم اليهودي ليأخذ تمر نخلة بالتي له فأبى، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل فمشى فيها، ثم قال لجابر: "جُدَّ له فأوف له الذي له". فجده بعد ما رجع رسول الله فأوفاه ثلاثين وَسْقًا، وفضلت له سبعة عشر وَسْقًا...".

ورأيناه في موقف آخر يشفع عند امرأة لترجع لزوجها، فقد ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان زوج بريرة عبدًا أسود يقال له: مُغيث ، كأني أنظر إليه يطوف خلفها في سكك المدينة يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس: "ألا تعجب من حُبِّ مغيث بريرة، ومن بُغض بريرة مغيثًا؟" فقال النبي لبريرة: "لو راجعته" قالت: يا رسول الله، تأمُرني؟ قال: "إنما أشفع". قالت: لا حاجة لي فيه".

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتأخر عن الشفاعة خدمة للمسلمين وقضاءً لحوائجهم، فيبذل من وقته وجهده وجاهه، وهذا من رحمته صلى الله عليه وسلم بأمته.

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ : ((**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا ، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ**)) .[متفق عليه]

((**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا**)) ، الإنسان إذا كان بإمكانه أن ينفع أخاه فلينفعه، إذا كان بقدرتك ، أو بمالك ، أو بجاهك ، أو بقوتك أن تسدي لأخيك معروفاً فافعل ، إذا كنت تستطيع أن تخفف عن أخيك هذه المشكلة فافعل . النبي عليه الصلاة والسلام إذا أتاه طالب حاجةٍ ، أقبل على جلسائه فقال : ((**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا ، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ**)) .

النبي عليه الصلاة والسلام قال : ((**والله لئن أمشي مع أخٍ في حاجته أحب لي من صيام شهرٍ واعتكافه في مسجدي هذا**)) .

إن حجمك عند الله بحجم عملك ، إن حجمك عند الله بحجم تضحياتك وبذلك ، فطالب الحاجة قد يحتاج إلى مساعدة ، إذا كنت مؤمناً حقاً فلا تضن عليه بهذه المساعدة ، قد تستخدم جاهك ، قد تستخدم خبرتك ، قد تستخدم مالك ، قد تستخدم وقتك ، قد تستخدم عضلاتك..

((**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ**)) ، أنت عليك أن تبذل قصارى جهدك ، ولكن الأمر بيد الله ، لأن الله عزَّ وجل يقول للنبي عليه الصلاة والسلام :(لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ) **[آل عمران : من آية " ١٢٨ "].**

قد تبذل كل ما في وسعك من أجل أن تنفع أخاك فلا تستطيع ، لأن الحكمة عندئذٍ التي أرادها الله عزَّ وجل أن يبقى هذا الإنسان في هذه الحاجة، ولا تقضى له ، أنت عليك أن تفعل الذي أمرك به النبي وعلى الله الباقي ، ليس عليك تحقيق هذه الحاجة ، بل عليك أن تسعى إليها ، فإما أن يقدِّرها الله على يديك ، وإما ألا يفعل ، وفي كل حالٍ هناك حكمةٌ بالغة من أفعال الله عزَّ وجل .

((وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ)) ، قد تحل هذه المشكلة على يديك ، وربما لا تحل ، قد يتم هذا الزواج وربما لا يتم ، قد يتم هذا الصلح وربما لا يتم ، قد تتم هذه التوبة وربما لا تتم ، قد يدعو هذا الإنسان وربما لا يدعو ، قد يستقيم وربما لا يستقيم ، أنت عليك أن تفعل ، عليك أن تسعى ، وليس عليك إدراك النجاح ، هذا كما يقولون : بذل العناية المشددة ، وعلى الله الباقي .

فالنبي عليه الصلاة والسلام وما ينطق عن الهوى يأمرنا جميعاً فيقول : **((اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا))** ، وحينما يخدم كل إنسانٍ أخاه المؤمن ، عندئذٍ يصبح المجتمع متيناً ، متراصًّا ، كأنه بنيانٌ مرصوص يشد بعضه بعضا ، مجتمع المؤمنين مجتمع فيه معاونة ، مجتمع فيه بذل ، مجتمع فيه تضيحة ، مجتمع فيه مؤاثرة ، قال الله تعالى:

(وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾)

[الحشر : ٩].

الأنصار رضي الله عنهم حينما هاجر إليهم إخوانهم المهاجرون ، قال

أحدهم لأخيه الذي آخاه النبي معه : لي بستانان خذ أحدهما ، هكذا ، ولكن بعض الصحابة الكرام وقف الموقف الأمثل فقال له : بارك الله لك في مالك ، ولكن دلني على السوق ، كلاهما وقف الموقف الأمثل ، الأنصاري وقف موقف البذل والعطاء والمؤاثرة ، والمهاجر وقف موقف التعفف ، وانطلق إلى العمل ، وهذا أمثل موقفٍ يقفه المؤمن من أخيه المؤمن .

على كلٍ تذكر هذا الحديث الشريف : ((**والله لئن أمشي مع أخٍ في حاجته أحب لي من صيام شهرٍ واعتكافه في مسجدي هذا**)) .

((والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه)) .

والله سبحانه وتعالى يحبك أن تساعد أخاك ، يحبكما معاً ، ولكن من باب التحفُّظ لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها ، يعني إذا جاءك أخوك في حاجة قل : والله يا أخي سأبذل كل ما أستطيع ، سأبذل كل إمكاناتي في حدود ما أستطيع ، لأنك قد تطالب بما لا تستطيع ، عندئذٍ ..

(لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ) [**البقرة : ٢٨٦**].

إن الشفاعة الحسنة مبذولة لكل مسلم،ليست لمعارفك ولا لإخوانك: إنك عمَّا قريب ستفارق جاهك،وتفارق منصبك،فلا تبخل حتى بجاهك ومساعدتك عن إخوانك المسلمين، ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)). إذا جاءك رجل مسلم يريدُ شفاعتك في كذا فقم معه،ولا تتوانى، ترفع عنه الظلم أو تجلب له الخير بشفاعتك الحسنة.

والشفاعة حتى تكون حسنة،مقبولة شرعاً،تنفع صاحبها ،وتزيد في أجره لابد أن تتوفر فيها ضوابط وشروط:

الأول: عدم تضييع من له حق: فكم من الناس يشفع ويتوسط ويتوسل في أمور يضيع بها حقوق المسلمين لنفع صاحبه أو قريبه،وهذا من

المحرمات،ومن البلايا التي ابتلي بها أهل الزمان،تضيع حقوق وتهدر أحوال وأوقات وجهود بسبب مكالمة أو ورقة صغيرة:إثمها كبير،ووزرها خطير،ويظن الجاهل أن هذا من الشفاعة الحسنة،وما علم أنها من الشفاعة المحرمة:(مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾) [النساء: ٨٥].

والضابط الثاني: ما أذن فيه الشرع دون ما لم يأذن فيه، والأجر لا يكون في الشفاعة إلا إذا كانت شرعية ،يقرها الشرع.

وبعض الناس يظن أن كل شفاعة أو واسطة فيها الأجر والثواب ،وهذا مخالف لقول الله تعالى:(وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ)فدل على وجود نوع من أنواع الشفاعات: حرام ،وهي الشفاعة السيئة.

وقد يشفع إنسان ما بجاهه ومنزلته وبكلمته المسموعة ليغتصب حقوق الآخرين ويظلمهم ويأكل أموالهم بالباطل.

والضابط الثالث: ((ألا تكون الشفاعة في حدٍ من حدود الله)).

إن الشفاعة في الحدود من الكبائر عدها ابن القيم منها،واستدل بحديث ابن عمر المرفوع: ((من حالت شفاعته دون حدٍ من حدود الله فقد ضاد الله في أمره)) رواه أحمد وغيره بإسناد جيد.

وعن عائشة رضي الله عنها: أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت ،فقالوا: مَنْ يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ومن يجترئ عليه إلا أسامة حِبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فكلم أسامة رسول الله. فقال: ((تشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام.

حينما تنطلق إلى مساعدة أخيك ، في علم الله أن هذه المساعدة قد تنجح

، وربما لا تنجح ، إن نجحت فهذا هو الخير ، وإن لم تنجح فهذا هو الخير ، إن أمر المؤمن كله خير ، فأنت عليك أن تسعى ، وليس عليك إدراك النجاح ، عليك أن تنطلق ، وليس عليك أن تحقق الهدف ، هذا على الله عزَّ وجل ، وهذا متروكٌ لحكمة الله ، ولعلمه ، ولعدالته .

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ : ((**يَا عَبَّاسُ أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ رَاجَعْتِهِ فَإِنَّهُ أَبُو وَلَدِكِ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَأْمُرُنِي قَالَ إِنَّمَا أَنَا شَفِيعٌ قَالَتْ فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ**)) .

لو راجعته . أي لو قبلتِ أن تبقي عنده ، لو قبلتِ الوفاق .

فقالت : يا رسول الله أتأمرني ؟ .

النبي عليه الصلاة والسلام يعرف بالضبط كيف يستخدم نفوذه الديني ، هو رسول ، ونبي، ومشرِّع ، وما ينطق عن الهوى ، ولكن هذه قضيةٌ شخصية ، هي أعلم بالمشكلة من رسول الله ، والزوج أعلم بالمشكلة منه ، فقالت : أتأمرني ؟ يعني أمرك يوجب الطاعة .

قال : **لا إنما أنا شفيع** ، أنا لا آمرك ، لأن هذا حقك .

فقالت عندئذٍ : لا حاجة لي فيه .

فرقٌ دقيق بين أن يأمرها النبي عليه الصلاة والسلام وبين أن يشفع بينهما ، إن أمرها فعليها الطاعة ، فإن عصت فعليها إثم المعصية ، وإنما النبي عليه الصلاة والسلام أمرها ، أو وجهها أن تراجعه على أساس الشفاعة، لا على أساس الأمر .

هذان الحديثان ، يؤكدان على أن كل إنسانٍ أعماله ، بل آثار أعماله مسجلةً عليه ، ويوم القيامة يقرأ الإنسان سجل أعماله ، انظر كيف أفسدت هذه العلاقة ، انظر كيف فرَّقت بين الزوجين ، انظر كيف دللت هذا على فعل السوء ، انظر ، انظر ، فإذا يتحمل أوزاراً لا طاقة له بتحمُّلها ، فالإنسان قبل أن يشفع بين اثنين ، قبل أن يجمع بين اثنين ، قبل أن يوجِّه ، قبل أن يدل ، قبل أن يدعو ، عليه أن ينتبه إلى أن الشفاعة الحسنة له منها نصيب ، بينما الشفاعة السيئة عليه منها كفلٌ ، ووزرٌ ، وحمل .

والله سبحانه وتعالى يقول :

(۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾) [**النساء : ١١٤**].

٣- حضور مجلس علم وذكر

عن أبي هُرَيْرَة رضي اللهُ عنه، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً من كُرَبِ يوْمِ القيامَةِ، ومَنْ يَسَّرَ على مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عليه في الدنْيا والآخِرَةِ، واللهُ في عَوْنِ الْعَبْدِ ما كانَ الْعَبْدُ في عَونِ أخيهِ. ومَنْ سلك طَريقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ له بِهِ طَرِيقاً إلى الجنَّةِ.

وَمَا اجتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ ويَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إلا نَزَلَتْ عليهمُ السَّكِينَةُ، وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وحَفَّتهُمُ المَلائِكَةُ، وذَكَرَهُمُ اللهُ فيمَنْ عِنْدَه . وَمَنْ بَطَّأ به عَمَلُهُ لمْ يُسْرِعْ به نَسَبُهُ. رَواه بهذا اللَّفظ مسلم.

● العلم من أجل نعم الله علينا ؛ منحه الله ومدحه وكرم أهله وأجزل لهم العطاء ، ورفع لهم الدرجات ، فهو هداية ورحمة ونور وعصمة ، وسمو ورفعة .

قال تعالى في سورة المجادلة (يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾) وقال تعالى في سورة الزمر (قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾).

ومن البراهين القاطعة والحجج الساطعة على فضل العلم وأدواته ووسائله افتتاح الله ﷻ كتابه الكريم بصدر سورة العلق (ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى

عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾) .[العلق: ١- ٥].

فكما أنعم الله عز وجل على الإنسانية بنقلها من ظلمة العدم إلى نور الوجود، كذلك أنعم عليها بنعمة العلم الذي يُخرج الناس به من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة .

• ومن شرف العلم وفضله : أن الله عز وجل حثنا على الاستزادة منه وأمر بذلك نبيه ﷺ فقال تعالى (وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾) [طه: ١٤].

• وفي هذا ما يدل على شرف العلم وفضيلة الاستزادة منه قال قتادة : لو كان أحد يكتفي من العلم بشئ لاكتفي موسى عليه السلام ، ولكنه قال للخضر عليه السلام : (قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾) [الكهف: ٦٦].

• ومن الحكم المأثورة عن السلف في فضل العلم ما أخرجه ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال:" تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ؛ وهو الأنس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاء، ومنار سبيل أهل الجنة ، يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة وأئمة يقتصّ آثارهم، ويحتذى بأفعالهم، وينتهى إلى رأيهم، ترغب الملائكة في ظلهم، وبأجنحتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى في

الدنيا والآخرة، والتفكر فيه يعدل الصيام، ومداومته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، هو إمام العمل، والعمل تابعه، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء " .

منزلة العلم من الدين

- ولقد تحدث العلماء عن فروض الكفاية التي إذا قام بها البعض سقط الإثم عن الباقين ، وإذا لم يقم بها أحد أثم كل قادر على القيام بها ، ومن هذه الفروض تعلم العلوم التي تستغني بها الأمة عن أعدائها وتدافع بها عن كيانها ، والله سبحانه وتعالى يقول في سورة الأنفال (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾).

فكل قوة يستطيع المسلمون إعدادها ثم يقصّرون فإنهم آثمون ، والعلوم الحديثة بكل جوانبها واجبة على الأمة ، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وكل ما يحتاج إليه المسلمون من العلوم ليحقق لهم التفوق على غيرهم ولتكون لهم القوة على عدوهم ، فهو فرض كفائي عليهم ، تأثم الأمة إذا فرطت فيه.

بين العلم والإيمان :

وحين نتأمل في موقف الإسلام من العلم نجد ترابطاً وثيقاً بين العلم والإيمان فكلما ازداد الإنسان علماً كلما ازداد يقينًا ومعرفة وخشية لله ﷻ ،قال تعالى مبيان أن العلماء هم أشد الناس خشية له ومعرفة بمقامه(أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ

ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾) [فاطر: ٢٧ – ٢٨] .

فالعلم يهدى إلى الإيمان ويقوي دعائمه ، والإيمان يدعو إلى العلم ويرغّب فيه ، هذه العلاقة الوثيقة لا نجدها في غير الإسلام .

المسئولية العلمية للأسرة المسلمة

وواجب الأسرة أن تدفع أبناءها إلى طلب العلم وترغبهم فيه وتحفزهم على التفوق والنبوغ حتى يرتقوا بأنفسهم ومجتمعاتهم وينهضوا بأمتهم.

- ينبغي أن يوجَّه الصبي من صغره إلى طلب العلم لأن العلم في الصغر كالنقش على الحجر والعلم في الكبر كالنقش على الماء ، والطفل يملك من الاستعداد الفطري والصفاء الذهني ما يعينه على حفظ القرآن والأحاديث النبوية ومتون علوم اللغة والشريعة .

- كما ينبغي أن يُعلم الطفل آداب طلب العلم حتى يتحلى بها : ومن أهمها الإخلاص والتقوى والصدق والصبر وتوقير المعلم وتنظيم الأوقات والاعتدال في المأكل والمشرب والنوم .

- كذلك ينبغي أن يشجع على القراءة والمطالعة والتدبر والتفكر وأن تراعى المواهب الناشئة والعبقريات المبكرة ويهيأ لها الجو المناسب للتفوق والابتكار.

- وأن يكون في البيت مكتبة نافعة لجميع أفراد الأسرة إلى جانب ترغيب الطفل في الذهاب إلى المكتبات الثقافية ، وحضور الندوات والمؤتمرات في المساجد والمنتديات وسائر المؤسسات .

- كما ينبغى توجيه الأولاد إلى مدارسة حياة العلماء فهي حياة زاخرة وحافلة بالعبر والعظات، والمؤلفات في ذلك كثيرة وغزيرة .

- ومما ينبغي أن يعود عليه الطفل قراءة الصحف والمجلات الدينية والعلمية والثقافية ، ومشاهدة البرامج الهادفة البناءة في التليفزيون والفيديو، والتدريب على الحاسب الآلي و الاشتراك في شبكات الإنترنت والمشاركة في الرحلات والمسابقات العلمية والثقافية ، ومتابعة الأولاد في المدارس وحفزهم على الجد والاجتهاد ، وتجشم الصعاب في طلب العلم

- كما ينبغي تبصيرهم بحاضر الأمة الإسلامية وتذكيرهم بماضيها حتى يأخذوا من ماضيهم لحاضرهم ، ويعرفوا مآثر أسلافهم وحضارتهم التي أضاءت الكون ، والتي اقتبس الغرب من أنوارها وبدءوا من حيث توقفت ، وأن دور هذا النشء أن يعيد أمجاد أسلافه من خلال اجتهاده في طلب العلم فهو دعامة أساسية للنهوض الحضاري .

- **حكم طلب العلم في الإسلام**

أ- فرض عين: يتوجب على كل مسلم طلبه، وهو ما لابد لكل مسلم من معرفته: لتسلم عقيدته، وتصح عبادته وتستقيم معاملته على وفق شرع الله عز وجل. وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم: " طلبُ العلم فريضةٌ على كلِّ مسلم " رواه ابن ماجه. أي: ذكراً كان أو أنثى .

ب- فرض كفاية: يتوجب على المسلمين بمجموعهم تحصيله، فإذا قام به بعضهم سقط الطلب عن الباقين، وإن لم يقم به أحد أثم الجميع، وهو التوسع في علوم الشريعة درساً وحفظاً وبحثاً، والتخصص في كل علم تحتاج إليه الجماعة المسلمة من علوم كونية، لتحفظ كيانها، وتقيم دعائم دولة الحق والعدل على الأرض قوية متينة، مهيبة الجانب.

وإنما يرث العلم النبوي العلماء العاملون المخلصون: " إن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما ورثوا العلم" رواه الترمذي وغيره. فهم علائم الحق ومنارات الهدى التي تهتدي بها الأمة في مسالك حياتها، وتقتدي بهم وتسير وراءهم في شدائدها وأزماتها.

فما دام العلم باقياً في الأمة فالناس في هدى وخير، وحضارة ورقي، واستقامة وعدل. وإنما يبقى العلم ببقاء حَمَلَته العلماء، فإذا ذهب العلماء وفُقِدوا من بين ظهرانَي الناس اختلت الأمور، وانحرفت الأمة عن الجادة القويمة، وسلكت مسالك الضلال، وانحدرت في مهاوي الرذيلة والفساد، وألقت بنفسها إلى الضياع والدمار. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: " إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا " متفق عليه.

التحذير من ترك العمل بالعلم

علمنا أن العلماء هم منار الهدى في الأمة، فإذا فقدوا ضلت الأمة طريقها السوي، والأشد سوءاً من فقد العلماء أن ينحرف هؤلاء عن الطريق التي أمرهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بسلوكها، فلا يعلموا

بعلمهم الذي ورثوه عن الجناب النبوي، فيخالف فعلهم قولهم، ويكونوا قدوة سيئة للأمة في معصية الله عز وجل وترك طاعته.

قال صلى الله عليه وسلم: " لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه "رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح .

نشر العلم

لقد حث الإسلام على تعلم العلم وتعليمه، قال تعالى (فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾) [التوبة:١٢٢]

وقال صلى الله عليه وسلم: " نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فرب مبلَّغ أوعى من سامع" رواه الترمذي وغيره.

وخير عمل يقوم به المسلم وينمو له أجره وثوابه عند ربه حتى بعد موته: أن يعلم الناس العلم الذي أكرمه الله تعالى به ومَنَّ عليه بتحصيله. قال عليه الصلاة والسلام: " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له " رواه مسلم وغيره.

الإخلاص في طلب العلم وترك المباهاة والمباراة به

على طالب العلم والعالم أن يخلص في طلبه وعلمه لله تعالى، ولا يقصد من ذلك إلا حفظ دينه وتعليمه للناس ونفعهم به، فلا يكون غرضه من تعلم العلم وتعليمه نيل منصب أو مال أو سمعة أو جاه، أو ليقال عنه إنه

عالم، أو ليتعالى بعلمه على خلق الله عز وجل، ويجادل به أقرانه ويباريهم، فكل ذلك مذموم يحبط عمله، ويوقعه في سخط الله تبارك وتعالى.

وروى الترمذي وغيره: " من طلب العلم ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، ويصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله النار".

ذكر الله عز وجل

إن ذكر الله عز وجل من أعظم العبادات، وذلك أن ذكر الله عز وجل يحمل الإنسان على التزام شرعه في كل شأن من شؤونه، ويشعره برقابة الله تعالى عليه فيكون له رقيب من نفسه، فيستقيم سلوكه ويصلح حاله مع الله تعالى ومع الخلق، ولذا أُمِر المسلم بذكر الله تبارك تعالى في كل أحيانه وأحواله، قال سبحانه: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلاً ﴿٤٢﴾) [الأحزاب: ٤١-٤٢]. أي صباحاً ومساءً، والمراد: في كل الأوقات.

- **خير ذكر كتاب الله تعالى**

وخير ما يذكر به الله عز وجل كلامه المنزل على المصطفى صلى الله عليه وسلم لما فيه-إلى جانب الذكر- من بيان لشرع الله تعالى، وما يجب على المسلم التزامه، وما ينبغي عليه اجتنابه.

- **عمارة المساجد**

وخير الأماكن لذكر الله عز وجل وتلاوة القرآن وتعلم العلم إنما هي المساجد بيوت الله سبحانه، يعمرها في أرضه المؤمنون، وعمارتها الحقيقية إنما تكون بالعلم والذكر إلى جانب العبادة من صلاة واعتكاف ونحوها، قال تعالى:(فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ

ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٨﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

- **عبادة منفردة وشافع مشفع**

فتلاوة القرآن بذاتها عبادة مأمور بها، ويثاب عليها المسلم، وتكون وسيلة لنجاته يوم القيامة ونيل مرضاة ربه جل وعلا، حيث يشفع القرآن لتاليه عند ربه.

وروى مسلم عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ".

ولا يقل فضل السماع للقرآن عن فضل تلاوته، بل إن الاستماع والإنصات لقراءته سبب لنيل مغفرة الله تعالى ورحمته.

وروى الإمام أحمد في مسنده: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال": من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة ".

- **نور على نور:**

ويزداد الأجر ويعظم الثواب ويكثر الفضل إذا ضم إلى التلاوة والاستماع والفهم والتدبير والخشوع، فيجتمع نور على نور، ومكرمة إلى مكرمة. قال الله تعالى:(كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾) [ص: ٢٩].

- **نزلت عليهم السكينة:**

وبهذه السكينة يطمئن القلب، وتهدأ النفس، وينشرح الصدر، ويستقر البال والفكر، وقال تعالى:(ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾)[الرعد: ٢٨].

والخسارة كل الخسارة لأولئك الذين خوت قلوبهم فغفلوا عن الله تعالى وذكره، فعاشوا في مقت وكرب وضياع في دنياهم، وكان لهم الهلاك والخلود في جهنم في أخراهم،قال تعالى:(وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾) [طه: ١٢٤] .

وقال سبحانه:(فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾) [الزمر:٢٢] .

- **غشيتهم الرحمة:**

فطوبى لهؤلاء الذين قربت منهم الرحمة فكانت تلاوتهم لكتاب الله عز وجل ومدارستهم له عنواناً على أنهم من المحسنين: (إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾) [الأعراف: ٥٦].

- **حفتهم الملائكة:**

فلما كثر القارئون كثرت الملائكة حتى تُحيط بهم من كل جانب .ولعل خير ثمرة لهذه المكرمة أن يكون هؤلاء الملائكة سفراء بين عباد الرحمن هؤلاء وبين خالقهم جل وعلا، يرفعون إليه سبحانه ما يقوم به هؤلاء المؤمنون من ذكر الله عز وجل ومدارسة لكتابه، وما انطوت عليه نفوسهم من رغبة في نعيم الله عز وجل ورضوانه، ورهبة من سخطه وإشفاق من عقابه، فيكون ذلك سبباً للمغفرة، وباباً للفوز والنجاة.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه سلم: 'إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل

الذكر، فإن وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم. قال: فيحفّونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال: فيسألهم ربهم -وهو أعلم منهم-: ما يقول عبادي؟ قال: تقول: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. قال: فيقول: هل رأوني؟ قال :فيقولون: لا والله ما رأوك. قال: فيقول: وكيف لو رأوني ؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيداً وأكثر تسبيحاً. قال: يقول: فما يسألونني ؟ قال: يسألونك الجنة. قال: يقول: وهل رأوها ؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها .قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها ؟ قال: يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد حرصاً عليها وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة.

قال فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. قال يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة؟ قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم ".

- **ذكَرَهم الله فيمن عنده**

قال عز وجل: (فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾)

[البقرة: ١٥٢]؛ فإذا ذكر العبد المؤمن ربه، بتلاوة كتابه وسماع آياته، قابله الله عز وجل على فعله من جنسه فذكره سبحانه في عليائه، وشتان ما بين الذاكرين، ففي ذكر الله تعالى لعبده الرفعة، والمغفرة والرحمة، والقبول والرضوان.

وخلاصة القول: لقد ربحت تجارة هؤلاء الذين أقبلوا على كتاب الله عز وجل تلاوة ودرساً وتعلماً وعملاً والتزاماً، وصدق الله العظيم إذ يقول: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾) [فاطر: ٢٩-٣٠].

٤- صلة الرحم وزيارة الأقارب

ما صلة الرحم؟

قال ابن منظور- رحمه الله- : " وصلت الشيء وصلا وصلة ، والوصل ضد الهجران " .

وقال : " ويقال : وصل فلان رحمه يصلها صلة وبينهما وصلة : أي اتصال وذريعة " .

وقال : " التواصل ضد التصارم " .

وقال : عن صلة الرحم : " قال ابن الأثير : وهي كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار ، والعطف عليهم ، والرفق بهم ، والرعاية لأحوالهم ، وكذلك إن بعدوا وأساءوا ، وقطع الرحم ضد ذلك كله".

فضائل صلة الرحم

أما فضائل صلة الرحم فحدث ولا حرج ؛ ففضائلها كثيرة ، وعوائدها جمة ، وهذه الفضائل تنتظم خيري الدنيا والآخرة ، ونصوص الكتاب والسنة في ذلك متظاهرة ، وكذلك أقوال العلماء والحكماء ، فمن تلك الفضائل ما يلي :

١- صلة الرحم شعار الإيمان بالله واليوم الآخر : فعن أبى هريرة- رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ".

٢- صلة الرحم سبب لزيادة العمر وبسط الرزق : فعن أنس بن مالك رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أحب أن يبسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره فليصل رحمه " ومما قاله العلماء في معنى زيادة العمر ، وبسط الرزق الواردين في الحديث ما يلي :

١- أن المقصود بالزيادة أن يبارك الله في عمر الإنسان الواصل ، ويهبه قوة في الجسم ، ورجاحة في العقل ، ومضاء في العزيمة ، فتكون حياته حافلة بجلائل الأعمال .

٢- أن الزيادة على حقيقتها ؛ فالذي يصل رحمه يزيد الله في عمره ، ويوسع له في رزقه .

ولا غرو في ذلك ؛ فكما أن الصحة وطيب الهواء ، وطيب الغذاء ، واستعمال الأمور المقوية للأبدان والقلوب من أسباب طول العمر- فكذلك صلة الرحم جعلها الله سببا ربانيا ؛ فإن الأسباب التي تحصل بها المحبوبات الدنيوية قسمان : أمور محسوسة تدخل في إدراك الحواس ، ومدارك العقول . وأمور ربانية إلهية قدرها من هو على كل شيء قدير ، ومن جميع الأسباب وأمور العالم منقادة لمشيئته " .

وقد يشكل هذا الأمر على بعض الناس فيقول : إذا كانت الأرزاق مكتوبة ، والآجال مضروبة لا تزيد ولا تنقص ، كما في قوله- تعالى- : (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾) [الأعراف :٣٤] . فكيف نوفق بين ذلك وبين الحديث السابق .

والجواب : أن القدر قدران :

أحدهما : مثبت ، أو مبرم ، أو مطلق ، وهو ما في أم الكتاب - اللوح المحفوظ- الإمام المبين- فهذا لا يتبدل ولا يتغير .

والثاني : القدر المعلق ، أو المقيد ، وهو ما في صحف الملائكة ، فهذا هو الذي يقع فيه المحو والإثبات .

قال شيخ الإسلام- ابن تيمية- رحمه الله تعالى- : " والأجل أجلان : مطلق يعلمه الله ، وأجل مقيد ، وبهذا يتبين معنى قوله صلى الله عليه وسلم : " من سره أن يبسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره فليصل رحمه ".

فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلا ، وقال : إن وصل رحمه زدته كذا وكذا ، والملك لا يعلم أيزداد أم لا ، لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر ، فإذا جاء الأجل لا يتقدم ولا يتأخر " .

وقال في موطن آخر عندما سئل عن الرزق :

هل يزيد أو ينقص ؟

فأجاب :الرزق نوعان : أحدهما : ما علمه الله أن يرزقه ، فبهذا لا يتغير، والثاني : ما كتبه ، وأعلم به الملائكة فهذا يزيد وينقص بحسب الأسباب

ثم إن : " الأسباب التي يحصل بها الرزق هي من جملة ما قدره الله وكتبه ؛ فإن كان قد تقدم بأن يرزق العبد بسعيه واكتسابه ألهمه السعي والاكتساب ، وذلك الذي قدره له بالاكتساب لا يحصل بدون الاكتساب ، وما قدره له بغير اكتساب- كموت مورثه- يأتيه بغير اكتساب " .

" فلا مخالفة في ذلك لسبق العلم ، بل فيه تقييد المسببات بأسبابها ، كما قدر الشبع والري بالأكل والشرب ، وقدر الولد بالوطء ، وقدر حصول الزرع بالبذر ، فهل يقول عاقل بأن ربط المسببات بأسبابها يقتضي خلاف العلم السابق ، أو ينافيه بوجه من الوجوه " .

٣- صلة الرحم تجلب صلة الله للواصل : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؛ قالت : بلى ، قال : فذلك لك ".

٤- صلة الرحم من أعظم أسباب دخول الجنة : فعن أبي أيوب الأنصاري- رضي الله عنه- أن رجلا قال : يا رسول الله ، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم ".

٥- صلة الرحم طاعة لله عزوجل : فهي وصل لما أمر الله به أن يوصل .

قال- تعالى- مثنيا على الواصلين : (وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢١﴾)[الرعد :٢١] .

٦- وهي من محاسن الدين : فالإسلام دين الصلة ، ودين البر والرحمة، فهو يأمر بالصلة ، وينهى عن القطيعة ، مما يجعل جماعة المسلمين مترابطة ، متآلفة ، متراحمة ، بخلاف الأنظمة الأرضية التي لا ترعى ذلك الحق ، ولا توليه اهتمامها .

٧- وهى مما اتفقت عليه الشرائع : فالشرائع السماوية كلها أمرت بالصلة ، وحذرت من ضدها ، وهذا يدل على فضلها ، وعظم شأنها .

٨- صلة الرحم مدعاة للذكر الجميل : فهي مكسبة للحمد ، مجلبة للثناء الحسن ، حتى إن أهل الجاهلية ليتمدحون بها ، ويثنون على أصحابها؛ فهذا الأعشى يمدح الأسود بن المنذر بن يزيد اللخمي ، فيقول :

عنده الحزم والتقى وأسى الصرع وحمل لمضلع الأثقال

وصلات الأرحام قد علم الناس وفك الأسرى من الأغلال

٩- أنها تدل على الرسوخ في الفضيلة : فهي دليل كرم النفس ، وسعة الأفق ، وطيب المنبت ، وحسن الوفاء ، وصدق المعشر .

ولهذا قيل : " من لم يصلح لأهله لم يصلح لك ، ومن لم يذب عنهم لم يذب عنك " .

١٠- شيوع المحبة بين الأقارب : فبسببها تشيع المحبة ، وتسود الألفة، ويصبح الأقارب لحمة واحدة ، وبهذا يصفو عيشهم ، وتكثر مسراتهم .

١١- رفعة الواصل : فإن الإنسان إذا وصل أرحامه ، وحرص على إعزازهم- أكرمه أرحامه ، وأعزوه ، وأجلوه ، وسودوه ، وكانوا عونا له .

ولم أر عزم لامرئ كعشيرة ولم أر ذلا مثل نأي عن الأهل

١٢- عزة المتواصلين : فالأرحام المتواصلون ، المتوادون المتآلفون- يعلو قدرهم ، ويرتفع ذكرهم ، فيكون لهم شأن ، ويحسب لهم ألف حساب، فلا يتجرأ أحد أن يسومهم خطة ضيق ، أو أن يمسهم بلفحة من نار ظلم ؛ فيظلون بأعز جوار ، وأمنع ذمار .

بخلاف ما إذا تقاطعوا ، وتدابروا ؛ فإنهم يذلون ويسترذلون ، فيلقون هوانا بعد عز ، وضعة بعد رفعة ، ونزولا بعد شمم .

بأي شيء تكون صلة الرحم ؟

صلة الرحم تكون بأمور عديدة ؛ فتكون بزيارتهم ، وتفقد أحوالهم ، والسؤال عنهم ، والإهداء إليهم ، وإنزالهم منازلهم ، والتصدق على فقيرهم، والتلطف مع غنيهم ، وتوقير كبيرهم ، ورحمة صغيرهم وضعفتهم ، وتعاهدهم بكثرة السؤال والزيارة- كما مر- إما أن يأتي الإنسان إليهم بنفسه، أو يصلهم عبر الرسالة ، أو المكالمة الهاتفية .

وتكون باستضافتهم ، وحسن استقبالهم ، وإعزازهم ، وإعلاء شأنهم ، وصلة القاطع منهم .

وتكون- أيضا- بمشاركتهم في أفراحهم ، ومواساتهم في أفراحهم ، وتكون بالدعاء لهم ، وسلامة الصدر نحوهم ، وإصلاح ذات البين إذا فسدت بينهم، والحرص على تأصير العلاقة وتثبيت دعائمها معهم . وتكون بعيادة مرضاهم ، وإجابة دعوتهم .

وأعظم ما تكون به الصلة ، أن يحرص المرء على دعوتهم إلى الهدى ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر . وهذه الصلة تستمر إذا كان الرحم صالحة مستقيمة أو مستورة .

أما إذا كانت الرحم سافرة أو فاسقة فتكون صلتهم بالعظة والتذكير ، وبذل الجهد في ذلك .

فإن أعيته الحيلة في هدايتهم- كأن يرى منهم إعراضا أو عنادا أو استكبارا ، أو أن يخاف على نفسه أن يتردى معهم ، ويهوي في حضيضهم- فليناً عنهم ، وليهجرهم الهجر الجميل ، الذي لا أذى فيه بوجه من الوجوه ، وليكثر من الدعاء لهم بظهر الغيب ، لعل الله أن يهديهم ببركة دعائه .

ثم إن صادف منهم غرة ، أو سنحت له لدعوتهم أو تذكيرهم فرصة- فليقدم وليعد الكرة بعد الكرة .

ومما يحسن ذكره في دعوة الأقارب ، ونصحهم أن ينبه على مسألة مهمة في هذا الباب ، ألا وهي إحسان التعامل مع الأقارب ، والحرص على دعوتهم باللين ، والحكمة ، والموعظة الحسنة ، وألا يدخل معهم في جدال إلا في أضيق الحدود وبالتي هي أحسن ؛ لأنه يلحظ على كثير من الدعاة قلة تأثيرهم في أسرهم وقبائلهم .

وذلك يرجع إلى عدة أسباب ، ومنها أن الدعاة أنفسهم لا يولون هذا الجانب اهتمامهم ، ولو بحثوا في السبل المثلى التي تعين على ذلك لأفلحوا في دعوة أقاربهم ولأثروا فيهم أيما تأثير .

ولعل من أهم تلك السبل أن يتواضعوا لأقاربهم ، وأن يولوهم شيئا من الاهتمام ، والصلة ، والاعتبار ، ونحو ذلك مما يحببهم بالأقارب ، ويحبب الأقارب بهم .

كما أن على الأسرة أو القبيلة أن ترفع من شأن دعاتها ، وعلمائها ، وأن تجلهم ، وتصيخ السمع لهم ، وأن تحذر كل الحذر من تحقيرهم ، والحط من شأنهم .

فإذا سارت الأسر على هذا النحو كان حريا بهم أن يرتقوا في مدارج الكمال، ومراتب الفضيلة .

أسباب قطيعة الرحم

إذا نظرت إلى قطيعة الرحم ، وجدت أنها تحدث لأسباب عديدة تحمل على القطيعة ؛ منها :

١- **الجهل** فالجهل بعواقب القطيعة العاجلة والآجلة يحمل عليها ، ويقود إليها ، كما أن الجهل بفضائل الصلة العاجلة والآجلة يقصر عنها ، ولا يبعث إليها .

٢- **ضعف التقوى** فإذا ضعفت التقوى ، ورق الدين لم يبال المرء بقطع ما أمر الله به أن يوصل ، ولم يطمع بأجر الصلة ، ولم يخش عاقبة القطيعة

٣- **الكبر** فبعض الناس إذا نال منصبا رفيعا ، أو حاز مكانة عالية ، أو كان تاجرا كبيرا- تكبر على أقاربه ، وأنف من زيارتهم والتودد إليهم ؛ بحيث يرى أنه صاحب الحق ، وأنه أولى بأن يزار ويؤتى إليه .

٤- **الانقطاع الطويل** فهناك من ينقطع عن أقاربه فترة طويلة ، فيصيبه من جراء ذلك وحشة منهم ، فيبدأ بالتسويف بالزيارة ، فيتمادى به الأمر إلى أن ينقطع عنهم بالكلية ، فيعتاد القطيعة ، ويألف البعد .

٥- **العتاب الشديد :** فبعض الناس إذا زاره أحد من أقاربه بعد طول انقطاع- أمطر عليه وابلا من اللوم ، والعتاب ، والتقريع على تقصيره في حقه ، وإبطائه في المجيء إليه . ومن هنا تحصل النفرة من ذلك الشخص ، والهيبة من المجيء إليه ؛ خوفا من لومه ، وتقريعه ، وشدة عتابه .

٦- **التكلف الزائد** فهناك من إذا زاره أحد من أقاربه تكلف لهم أكثر من اللازم ، وخسر الأموال الطائلة ، وأجهد نفسه في إكرامهم ، وقد يكون قليل ذات اليد .

ومن هنا تجد أن أقاربه يقصرون عن المجيء إليه ؛ خوفا من إيقاعه في الحرج .

٧- **قلة الاهتمام بالزائرين** فمن الناس من إذا زاره أقاربه لم يبد لهم الاهتمام ، ولم يصغ لحديثهم ، بل تجده معرضا مشيحا بوجهه عنهم إذا تحدثوا ، لا يفرح بمقدمهم ، ولا يشكرهم على مجيئهم ، ولا يستقبلهم إلا بكل تثاقل وبرود ؛ مما يقلل رغبتهم في زيارته .

٨- **الشح والبخل** فمن الناس من إذا رزقه الله مالا أو جاها- تجده يتهرب من أقاربه ، لا كبرا عليهم ، وإنما خوفا من أن يفتح الباب عليه من أقاربه ، فيبدؤون بالاستدانة منه ، ويكثرون الطلبات عليه ، أو غير ذلك! .

وبدلا من أن يفتح الباب لهم ، ويستضيفهم ، ويوسع عليهم ويقوم على خدمتهم بما يستطيع ، أو يعتذر لهم عما لا يستطيع- إذا به يعرض عنهم ، ويصرمهم ، ويهجرهم ، حتى لا يرهقوه بكثرة مطالبهم- كما يزعم-!

وما فائدة المال أو الجاه إذا حرم منه الأقارب ؛ قال زهير بن أبي سلمى- وما أجمل ما قال- :

ومن يك ذا فضل فيبخل فضله على قومه يستغن عنه وينمم

وما أجمل قول البارودي :

فلا تحسبن المال ينفع ربه إذا هو لم تحمد قراه العشائر

ومما قيل في ذلك :

ومن ذا الذي نرجو الأباعد نفعه إذا كان لم يصلح عليه الأقارب

٩- **تأخير قسمة الميراث** فقد يكون بين الأقارب ميراث لم يقسم ؛ إما تكاسلا منهم ، أو لأن بعضهم عنده شيء من العناد ، أو نحو ذلك .

وكلما تأخر قسم الميراث ، وتقادم العهد عليه- شاعت العدواة والبغضاء بين الأقارب ؛ فهذا يريد حقه من الميراث ليتوسع به ، وهذا آخر يموت ويتعب من بعده في حصر الورثة ، وجمع الوكالات حتى يأخذوا نصيبهم من مورثهم ، وذاك يسيء الظن بهذا ، وهكذا تشتبك الأمور ، وتتأزم الأوضاع ، وتكثر المشكلات فتحل الفرقة ، وتسود القطيعة .

١٠- الشراكة بين الأقارب فكثيرا ما يشترك بعض الأخوة أو الأقارب في مشروع أو شركة ما- دون أن يتفقوا على أسس ثابتة ، ودون أن تقوم الشركة على الوضوح والصراحة ، بل تقوم على المجاملة ، وإحسان الظن

فإذا ما زاد الإنتاج ، واتسعت دائرة العمل- دب الخلاف ، وساد البغي ، وحدث سوء الظن ، خصوصا إذا كانوا من قليلي التقوى والإيثار ، أو كان بعضهم مستبدا برأيه ، أو كان أحد الأطراف أكثر جدية من الآخر .

ومن هنا تسوء العلاقة ، وتحل الفرقة ، وربما وصلت الحال بهم إلى الخصومات في المحاكم ، فيصبحون بذلك سبة لغيرهم ، قال الله- تعالى- (وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ)[ص :٢٤] .

١١- الاشتغال بالدنيا واللهث وراء حطامها ، فلا يجد هذا اللاهث وقتا يصل به قرابته ، ويتودد إليهم .

١٢- الطلاق بين الأقارب فقد يحدث طلاق بين الأقارب ، فتكثر المشكلات بين أهل الزوجين ، إما بسبب الأولاد ، أو بسبب بعض الأمور المتعلقة بالطلاق ، أو غير ذلك .

١٣- بعد المسافة والتكاسل عن الزيارة : فمن الناس من تنأى به الديار ، ويشط به المزار ، فيبتعد عن أهله وأقاربه ، فإذا ما أراد المجيء إليهم بعدت عليه الشقة ، فتثبط عن المجيء والزيارة . .

١٤- التقارب في المساكن بين الأقارب فربما أورث ذلك نفرة وقطيعة بين الأقارب ، وقد روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- أنه قال : " مروا ذوي القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا" .

قال الغزالي معلقا على مقولة عمر : " وإنما قال ذلك لأن التجاور يورث التزاحم على الحقوق ، وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم

وقال أكثم بن صيفي : " تباعدوا في الديار تقاربوا في المودة " .

ثم إن القرب في المسافة قد يسبب بعض المشكلات ، التي تحدث بسبب ما يكون بين الأولاد من تنافس ، أو مشادة ، أو غير ذلك ، وقد ينتقل ذلك إلى الوالدين ، فيحاول كل من الوالدين أن يبرئ ساحة أولاده ، فتنشأ العدواة ، وتحل القطيعة .

١٥- قلة تحمل الأقارب والصبر عليهم فبعد الناس لا يتحمل أدنى شيء من أقاربه ، فبمجرد أي هفوة ، أو زلة ، أو عتاب من أحد من أقاربه يبادر إلى القطيعة والهجر .

١٦- نسيان الأقارب في الولائم والمناسبات فقد يكون عند أحد أفراد الأسرة وليمة أو مناسبة ما ، فيقوم بدعوة أقاربه إما مشافهة ، أو عبر رقاع الدعوة ، أو عبر الهاتف ، وربما نسي واحدا من أقاربه ، وربما كان هذا المنسي ضعيف النفس ، أو ممن يغلب سوء الظن ، فيفسر هذا النسيان بأنه تجاهل له ، واحتقار لشخصه ، فيقوده ذلك الظن إلى الصرم والهجر .

١٧- الحسد فهناك من يرزقه الله علما ، أو جاها ، أو مالا ، أو محبة في قلوب الآخرين ، فتجده يخدم أقاربه ، ويفتح لهم صدره ، ومن هنا قد يحسده بعض أقاربه ، ويناصبه العداء ، ويثير البلبلة حوله ، ويشكك في إخلاصه .

١٨- كثرة المزاح فإن لكثرة المزاح آثارا سيئة ؛ فلربما خرجت كلمة جارحة من شخص لا يراعي مشاعر الآخرين فأصابت مقتلا من شخص

شديد التأثر ، فأورثت لديه بغضا لهذا القائل . ويحصل هذا كثيرا بين الأقارب ؛ لكثرة اجتماعاتهم .

قال محمود الوراق :

تلقى الفتى يلقى أخـــاه وخدنه في لحن منطقه بمـــا لا يغفر

ويقول كنت ممازحا وملاعـــــبا هيهات نارك في الحشا تتسعر

ألهبتها وطفقت تضحك لاهـــيا مما بـــه وفـــــــؤاده يتفطر

أو ما علمت ومثل جهلك غالب أن المزاح هو السبـــاب الأكبر

قال ابن عبد البر- رحمه الله- : " وقد كره جماعة من العلماء الخوض في المزاح ؛ لما فيه من ذميم العاقبة ، ومن التوصل إلى الأعراض ، واستجلاب الضغائن ، وإفساد الإخاء " .

١٩- الوشاية والإصغاء إليها فمن الناس من دأبه وديدنه وهجيراه- عياذا بالله- إفساد ذات البين ، فتجده يسعى بين الأحبة لتفريق صفهم ، وتكدير صفوهم ، فكم تحاصت بسبب الوشاية من رحم ، وكم تقطعت من أواصر ، وكم تفرق من شمل .

وأعظم جرما من الوشاية : أن يصغي الإنسان إليها ، ويصيخ السمع لها وما أجمل قول الأعشى :

ومن يطع الواشين لا يتركوا له صديقا وإن كان الحبيب المقربا

٢٠- سوء الخلق من بعض الزوجات فبعض الناس يبتلى بزوجة سيئة الخلق ، ضيقة العطن ، لا تحتمل أحدا من الناس ، ولا تريد أن يشاركها في زوجها أحد من أقاربه أو غيرهم ، فلا تزال به تنفره من أقاربه ، وتثنيه عن

زيارتهم وصلتهم ، وتقعد في سبيله إذا أراد استضافتهم ، فإذا استضافهم أو زاروه لم تظهر الفرح والبشر بهم ، فهذا مما يسبب القطيعة بين الأقارب . وبعض الأزواج يسلم قياده لزوجته فإذا رضيت عن أقاربه وصلهم ، هان لم ترض قطعهم ، بل ربما أطاعها في عقوق والديه مع شدة حاجتهم إليه .

هذه بعض الأسباب الحاملة على الهجر وقطيعة الرحم .

مظاهر قطيعة الرحم

قطيعة الرحم من الأمور التي تفشتت في مجتمعات المسلمين ، خصوصا في هذه الأعصار المتأخرة التي طغت فيها المادة ، وقل فيه التواصي والتزاور ، فكثير من الناس - والله المستعان- مضيعون لهذا الحق مفرطون فيه .

ولقطيعة الرحم مظاهر عديدة ؛ فمن الناس من لا يعرف قرابته بصلة ؛ لا بالمال ، ولا بالجاه ، ولا بالخلق ، تمضي الشهور ، وربما الأعوام ، وما قام بزيارتهم ، ولا تودد إليهم بصلة ، أو هدية ، ولا دفع عنهم حاجة أو ضرورة أو أذية ، بل ربما أساء إليهم بالقول أو الفعل ، أو بهما جميعا .

ومن الناس من لا يشارك أقاربه في أفراحهم ، ولا يواسيهم في أفراحهم ، ولا يتصدق على فقيرهم ، بل تجده يقدم غيرهم عليهم في الصلات الخاصة ، التي هم أحق بها من غيرهم .

ومن الناس من يصل أقاربه إن وصلوه ، ويقطعهم إن قطعوه ، وهذا- في الحقيقة- ليس بواصل ، وإنما هو مكافئ للمعروف بمثله ، وهذا حاصل للقريب وغيره ؛ فإن المكافأة لا تختص بالقريب وحده.

والواصل- حقيقة- هو الذي يصل قرابته لله ، سواء وصلوه أم قطعوه ؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم " ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذي إذا قطع رحمه وصلها " ومن مظاهر قطيعة الرحم أن تجد بعض الناس ممن آتاه الله علما ودعوة- يحرص على دعوة الأبعدين ، ويغفل أو يتغافل عن دعوة الأقربين ، وهذا لا ينبغي فالأقربون أولى

بـالمعروف ، قـال الله- عـز وجـل- لنبـه-عليـه الصـلاة والسـلام- : (وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾) [الشعراء : ٢١٤] .

ومن مظاهر القطيعة أن تجد بعض الأسر الكبيرة قد نبغ فيها طالب علم ، أو مصلح ، أو داعية ، فتراه يلقى القبول والتقدير من سائر الناس ، ولا يلقى من أسرته إلا كل كنود وجحود ؛ مما يوهن عظمه ؛ ويوهي قواه ، ويقلل أثره .

ومن مظاهر القطيعة ، تحزيب الأقارب ، وتفريق شملهم ، وتأليب بعضهم على بعض .

ليس الواصل بالمكافئ

الناس في صلة الرحم وقطيعتها أصناف ودرجات:

الأول: الواصل للمسيء إليه

وهي حال المصطفَيْن الأخيار من الرسل وأتباعهم، كحال رسولنا مع قومه، ومقابلة إساءتهم له بالإحسان إليهم، فقد دعا الله أن ينزل عليهم الغيث وقد أخرجوه من بلده ومسقط رأسه، وكان دائماً يسأل لهم الهداية، وعندما دخل مكة فاتحاً منتصراً وقال لهم: ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم؛ فقال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء" وقال: "من دخل الكعبة فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن"، أوكما قال صلى الله عليه وسلم.

وكذلك فعل أبوبكر الصديق رضي الله عنه مع مِسْطح ابن خالته الذي كان ينفق عليه، بعد أن سعى في إشاعة الفاحشة على الصديقة بنت الصديق عائشة، فأقسم أبوبكر أن لا ينفق عليه، ولكن ما إن نزل قوله تعالى: (وَلَا

يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾) [النور: ٢٢] حتى عاد أبو بكر إلى الإنفاق والإحسان إلى مسطح، وقال: نحبّ؛ أوكما قال.

الثاني: الواصل

وهو الذي يصل من قطعه، وهذه درجة رفيعة كذلك، عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم: "ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها".

ولا يقدر على ذلك إلا الصابرين المحتسبين الأجر عند الله عز وجل.

الثالث: المكافئ

وهو الذي يصل من وصله ويقطع من قطعه، أي يعامل الناس بمثل ما يعاملونه به، والمكافأة فيها نوع من الصلة، ودرجة من الوصل.

الرابع: المقاطع

الذي يقطع من وصله، وهو الذي يُتفضَّل عليه، ولا يَتفضَّل.

الخامس: المسيء

وهو أسوأ الأصناف، وهو الذي يسيء إلى من أحسن إليه، ولم يكتف بقطعه بل تعدى ذلك لإيذائه، ولهذا شاع بين الناس: "اتق شرَّ من أحسنتَ إليه" وهو من الأحاديث الموضوعة الشائعة على الألسن.

تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم

مما يدل على مكانة صلة الأرحام في الإسلام وعلو منزلتها أن الشارع الحكيم أمر بتعلم الأنساب ومعرفة القرابات التي تعين على صلة الأرحام

والإحسان إليهم، فقال صلى الله عليه وسلم: "تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم".

فيجب على الآباء والأجداد تبصير الأبناء والأحفاد بحقوق القرابات، وبصلتهم بها، فإن كثيراً من شباب اليوم لا يعرف شيئاً عن كثير من أرحامهم، ويرجع ذلك إلى تقصير الكبار في هذا الشأن، فقد جاء في الأثر: "لا يزال الناس بخير ما تعلم الصغير قبل موت الكبير"، فإذا مات الكبار ذهبوا بما عندهم من علوم وتجارب ومعارف قد لا توجد عند غيرهم من الناس.

فعلم النسب من أهم العلوم ما لم يدع إلى التفاخر والعصبية، وكان أبوبكر الصديق وابنته عائشة من أعلم المسلمين بالأنساب، ولهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت بملازمة أبي بكر ليمده بمخازي القوم المشركين ليتمكن من الرد عليهم والذبِّ عن الإسلام ورسول الإسلام.

مَن الأرحام الذين تجب صلتهم ؟

اختلف العلماء في مَن مِن الأرحام الذين تجب صلتهم، فقيل هم المحارم الذين تكون بينهم قرابة بحيث لو كان أحدهما ذكراً والآخر أنثى لم يحل له نكاح الآخر وعلى هذا القول فالأرحام هم الوالدان ووالديهم وإن علو والأولاد وأولادهم وإن نزلوا، والإخوة وأولادهم والأخوات وأولادهن، والأعمام والعمات والأخوال والخالات.

ويخرج على هذا القول أولاد الأعمام وأولاد العمات وأولاد الأخوال وأولاد الخالات فليسوا من الأرحام.

واستدل أصحاب هذا القول بأن الشارع حرم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها وقال صلى الله عليه وسلم في إحدى روايات الحديث عند ابن حبان : ((إنكن إن فعلتن ذلك قطعتن أرحامكن)).

ولو كان بنت العم أو العمة أو بنت الخال أو الخالة لو كان هؤلاء من الأرحام ما وافق الشرع على الجمع بين المرأة وابنة عمتها أو ابنة خالتها أو ابنة خالتها .

القول الثاني : الأرحام هم القرابة الذين يتوارثون، وعلى هذا يخرج الأخوال والخالات، أي أن الأخوال والخالات على هذا القول لا تجب صلتهم ولا يحرم قطعهم.

وهذا القول غير صحيح وكيف يكون صحيحاً والنبي صلى الله عليه وسلم قال : ((الخالة بمنزلة الأم)) .

القول الثالث : أن الأرحام عام في كل ما يشمله الرحم، فكل قريب لك هم من الأرحام الذين تجب صلتهم.

وعلى هذا القول فأولاد العم وأولاد العمة وأولاد الخال وأولاد الخالة وأولادهم كل هؤلاء يدخلون تحت مسمى الأرحام.

وإن كان تتنوع كيفية وصلهم فهذا تجب صلته كل يوم وهذا كل أسبوع وهذا كل شهر وهذا في المناسبات وهكذا.

كذلك يتنوع الموصول به فهذا يوصل بالمال وهذا يوصل بالسلام وهذا يوصل بالمكالمة وهكذا.

وقد قيل إن القرابة إلى أربعة آباء فيشمل الأولاد وأولاد الأب وأولاد الجد وأولاد جد الأب .

الأمور المعينة على الصلة

هناك آداب يجدر بنا سلوكها مع الأقارب ، وهناك أمور تعين على صلة الرحم ؛ فمن ذلك ما يلي :

١- التفكر في الآثار المترتبة على الصلة : فإن معرفة ثمرات الأشياء ، واستحضار حسن عواقبها- من أكبر الدواعي إلى فعلها ، وتمثلها ، والسعي إليها .

٢- النظر في عواقب القطيعة : وذلك بتأمل ما تجلبه القطيعة من هم ، وغم ، وحسرة ، وندامة ، ونحو ذلك ، فهذا مما يعين على اجتنابها والبعد عنها .

٣- الاستعانة بالله : وذلك بسؤال التوفيق ، والإعانة على صلة الأقارب.

٤- مقابلة إساءة الأقارب بالإحسان : فهذا مما يبقي على الود ويحفظ ما بين الأقارب من العهد ، ويهون على الإنسان ما يلقاه من شراسة أقاربه وإساءتهم .

ولهذا أتى رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله، إني لي قرابة أصلهم ويقطعونني ، وأحسن إليهم ويسيؤون إلي ، وأحلم عنهم ويجهلون علي .

قال : " لئن كنت كما قلت ، فكأنما تسفهم الملل ، ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك " قال الإمام النووي- رحمه الله تعالى- في شرح هذا الحديث : " وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم ، بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم ، ولا شيء على هذا المحسن ، بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته ، وإدخالهم الأذى عليه . وقيل : معناه أنك بالإحسان إليهم تخزيهم ، وتحقرهم

في أنفسهم ؛ لكثرة إحسانك ، وقبيح فعلهم من الخزي والحقارة عند أنفسهم ، كمن يسف الملل .

وقيل : ذلك الذي يأكلونه من إحسانك ، كالملل يحرق أحشاءهم ، والله أعلم " .

فهذا الحديث عزاء لكثير من الناس ممن ابتلوا بأقارب شرسين ، يقابلون الإحسان بالإساءة ، وفيه تشجيع للمحسنين على أن يستمروا على طريقتهم المثلى ؛ فإن الله معهم ، وهو مؤيدهم ، وناصرهم ، ومثيبهم .

ومن أجمل ما قيل في ذلك ، قول المقنع الكندي :

وإن الذي بيني وبيـــن بني أبي وبين بني عمي لمختـــلف جدا

إذا قدحوا لي نار حرب بزنـدهم قدحت لهم في كل مكرمة زندا

وإن كلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

وأعطيهم مالي إذا كنت واجدا وإن قل مالي كل أكلفهم رفدا

٥- قبول أعذارهم إذا أخطأوا ، واعتذروا : ومن جميل ما يذكر في ذلك ما جرى بين يوسف- عليه السلام- وإخوته ، فلقد فعلوا به ما فعلوا ، وعندما اعتذروا- قبل عذرهم ، وصفح عنهم الصفح الجميل ؛ فلم يقرعهم ، ولم يوبخهم ، بل دعا لهم ، وسأل الله لهم المغفرة لهم .

٦- الصفح عنهم ونسيان معايبهم ، حتى ولو لم يعتذروا : فهذا مما يدل على كرم النفس ، وعلو الهمة ؛ فالعاقل اللبيب ، يعفو عن أقاربه وينسى عيوبهم ، ولا يذكرهم بها ، ومن جميل ما يذكر في ذلك قول القائل:

٧- **التواضع ولين الجانب :** فهذا مما يحبب القرابة بالشخص ، ويدنيهم منه ، وصدق من قال :

من كان يحلم أن يسـود عشيرة فعليه بالتقوى وليـن الجانـب

ويغض طرفا عن مساوي من أسا منهم ويحلم عند جهل الصاحب

٨ - **التغاضـي والتغافـل :** فالتغاضـي والتغافـل مـن أخـلاق الأكـابر والعظماء ، وهو مما يعين على استبقاء المودة ، واستجلابها ، وعلى وأد العداوة وإخلاد المباغضة .

ثم إنه دليل على سمو النفس ، وشفافيتها ، وهو مما يرفع المنزلة ، ويعلي المكانة . والتغاضي والتغافل حسن مع جميع الناس ، وهو مع الأقارب أولى ، وأحرى وأجمل .

قال ابن حبان- رحمه الله- : " من لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما يأتون من المكروه ، وترك التوقع لما يأتون من المحبوب- كان إلى تكدير عيشه أقرب منه إلى صفائه ، وإلى أن يدفعه الوقت إلى العداوة والبغضاء أقرب منه أن ينال منهم الوداد وترك الشحناء " قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- :

أغمض عيني عن أمور كثيرة وإني على ترك الغموض قدير

وما من عمى أغضي ولكن لربما تعامى وأغضى المرء وهو بصير

وأسكت عن أشياء لو شئت قلتها وليس علينا في المقال أمير

أصبر نفسي باجتهادي وطاقتي وإني بأخلاق الجميع خبير

٩- بذل المستطاع لهم : من الخدمة بالنفس ، أو الجاه ، أو المال .

١٠ - ترك المنة عليهم ، والبعد عن مطالبتهم بالمثل : وقد مر بنا أن الواصل ليس بالمكافئ ، فمما يعين على بقاء المودة أن يحرص الإنسان على أن يعطي أقاربه ولا يطالبهم بالمثل ، وألا يمن عليهم بعطائه ، أو زياراته ، أو غير ذلك .

١١- توطين النفس على الرضا بالقليل من الأقارب : فالعاقل الكريم لا يستوفي حقه كاملا ، بل يرضى بالقليل وبالعفو الذي يأتي من أقاربه ، حتى يستميل بذلك قلوبهم ، ويبقي على مودته لهم كما قيل :

إذا أنت لم تستبق ود صحابة على دخن أكثرت بث المعايب

١٢- مراعاة أحوالهم ، وفهم نفسايتهم ، وإنزالهم منازلهم : فمن الأقارب من يرضى بالقليل ، فتكفيه الزيارة السنوية ، وتكفيه المكالمة الهاتفية ، ومنهم من يرضى بطلاقة الوجه والصلة بالقول فحسب ، ومنهم من يعفو عن حقه كاملا ، ومنهم من لا يرضى إلا بالزيارة المستمرة ، وبالملاحظة الدائمة ؛ فمعاملتهم بمقتضى أحوالهم يعين على الصلة ، واستبقاء المودة .

١٣- ترك التكلف مع الأقارب ورفع الحرج عنهم : وهذا مما يغري بالصلة ؛ فإذا علم الأقارب عن ذلك الشخص أنه قليل التكلف ، وأنه يتسم بالسماحة- حرصوا على زيارته وصلته .

١٤- تجنب الشدة في العتاب : حتى يألف الأقارب المجيء ، ويفرحوا به ؛ فالكريم هو الذي يعطي الناس حقوقهم ، ويتغاضى عن حقه إذا قصر فيه أحد . ثم إن كان هناك من خطأ يستوجب العتاب فليكن عتابا لطيفا رقيقا

١٥- تحمل عتاب الأقارب وحمله على أحسن المحامل : وهذا أدب الفضلاء ، ودأب النبلاء ؛ ممن تمت مروءتهم ، وكملت أخلاقهم ، وتناهى سؤددهم ، ممن وسعوا الناس بحلمهم ، وحسن تربيتهم ، وسعة أفقهم .

فإذا ما عاتبهم أحد من الأقارب ، وأغلظ عليهم لتقصيرهم في حقه- حملوا ذلك على أحسن المحامل ؛ فيرون أن هذا المعاتب محب لهم ، مشفق عليهم ، حريص على مجيئهم ، ويشعرونه بذلك ، بل يعتذرون له من تقصيرهم ؛ حتى تخف حدته وتهدأ ثورته فبعض الناس يقدر ويحب ويشفق، ولكنه لا يستطيع التعبير عن ذلك إلا بكثرة اللوم والعتاب .

والكرام يحسنون التعامل مع هؤلاء ، ويحملون كلامهم على أحسن المحامل ، ولسان حالهم يقول : لو أخطأت في حسن أسلوبك لما أخطأت في حسن نيتك .

١٦- الاعتدال في المزاح مع الأقارب : مع مراعاة أحوالهم ، وتجنب المزاح مع من لا يتحمله .

١٧ . تجنب الخصام وكثرة الملاحاة والجدال العقيم مع الأقارب : فإن كثرة الخصام والملاحاة والجدال تورث البغضاء ، والانتصار للنفس ، والتشفي من الطرف الآخر ، بل يحسن بالمرء مداراة أقاربه ، والبعد عن كل ما من شأنه أن يكدر صفو الوداد معهم .

١٨- المبادرة بالهدية إن حصل خلاف مع الأقارب : فالهدية تجلب المودة ، وتكذب سوء الظن ، وتستل سخائم القلوب .

١٩- أن يستحضر الإنسان أن أقاربه لحمة منه : فلا بد له منهم ، ولا فكاك له عنهم ، فعزهم عز له ، وذلهم ذل له ، والعرب تقول : " أنفك منك وإن ذن وعيصك منك لان كان أشبا ".

٢٠- أن يعلم أن معاداة الأقارب شر وبلاء : فالرابح فيها خاسر ، والمنتصر مهزوم ، كما قال البحتري في صلح بني تغلب :

وفرسان هيجاء تجيش صدورها بأحقـــادها حتى تضيق دروعها

تقـــتل مـــن وتـــر أعز نفوســـها عليـــها بأيد ما تكـــاد تطبـعها

إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها

شواجر أرمـــاح تقطـــع بينـــهم شواجـــر أرحام ملـــوم قطوعها

وكما قال الآخر :

فإذا رميـــــت يصيبني سهـــمي قومي هم قتلوا أميم أخي

فلئن عفوت لأعفون جللا ولئن سطوت لأوهنن عظمي

٢١- الحرص التام على تذكر الأقارب في المناسبات والولائم : ومن الطرق المجدية في ذلك أن يسجل الإنسان أسماء أقاربه ، وأرقام هواتفهم في ورقة ، ثم يحفظها عنده ، وإذا أراد دعوتهم فتح الورقة حتى يستحضرهم جميعا ، ويتصل بهم إما بالذهاب إليهم ، أو عبر الهاتف أو غير ذلك . ثم إن نسي واحدا منهم فليذهب إليه ، وليعتذر منه ، وليسع في رضاه ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

٢٢- الحرص على إصلاح ذات البين : فمما ينبغي على الأقارب- وعلى الأخص من وهبهم الله محبة في النفوس - أن يبادروا إلى إصلاح

ذات البين إذا فسدت ، وألا يتوانوا في ذلك ؛ لأنها إذا لم تصلح ويبادر في رأب صدعها فإن شرها سيستطير ، وبلاءها سيكتوي بناره الجميع .

٢٣- تعجيل قسمة الميراث : حتى يأخذ كل واحد نصيبه ، ولئلا تكثر الخصومات والمطالبات ، ولأجل أن تكون العلاقة بين الأقارب خالصة صافية من المكدرات .

٢٤- الحرص على الوئام والاتفاق حال الشراكة : فإذا اشترك الأقارب في شراكة ما فليحرصوا كلى الحرص على الوئام التام ، والاتفاق في كل الأمور ، وأن تسود بينهم روح الإيثار والمودة ، والشورى والرحمة ، والصدق والأمانة ، وأن يحب كل واحد منهم لأخيه ما يحبه لنفسه ، وأن يعرف كل طرف ماله وما عليه .

كما يحسن بهم أن يناقشوا المشكلات بمنتهى الوضوح والصراحة ، وأن يحرصوا على التفاني ، والإخلاص في العمل ، وأن يتغاضى كل منهم عن صاحبه ، ويجمل بهم- أيضا أن يكتبوا ما يتفقون عليه .

فإذا ساروا على تلك الطريقة حلت فيهم الرحمة ، وسادت بينهم المودة، ونزلت عليهم بركات الشركة .

٢٥- الاجتماعات الدورية : سواء كانت شهرية أو سنوية أو غير ذلك ، فهذه الاجتماعات فيها خير كثير ؛ ففيها التعارف ، والتواصل ، والتواصي ، وغير ذلك خصوصا إذا كان يديرها أولو العلم ، والحصافة .

٢٦- صندوق القرابة : الذي تجمع فيه تبرعات الأقارب واشتراكاتهم ، ويشرف عليه بعض الأفراد ، فإذا ما احتاج أحد من الأسرة مالا لزواج ، أو نازلة ، أو غير ذلك بادروا إلى دراسة حاله ، وساعدوه ورفدوه ؛ فهذا مما يولد المحبة ، وينمي المودة .

٢٧- دليل الأقارب : فيحسن بالأقارب أن يقوم بعضهم بوضع دليل خاص ، يحتوي على أرقام هواتف القرابة ثم يطبع ويوزع على جميع الأقارب ، فهذا الصنيع يعين على الصلة ، ويذكر المرء بأقاربه إذا أراد السلام عليهم ، أو دعوتهم للمناسبات والولائم .

٢٨- الحذر من إحراج الأقارب : وذلك بالبعد عن كل سبب يوصل إلى ذلك ، فيبتعد الإنسان عن الإثقال عليهم ، وينأى عن تحميلهم ما لا يطيقون ، ومما يدخل في هذا أن يراعي القرابة أحوال الوجهاء ، وذوي اليسار في الأسرة فلا يكلفوهم ما يوقعهم في الحرج ، ولا يلوموهم إذا قصروا في بعض الأمور مما لا طاقة لهم بها ؛ فبعض الأسر تكلف وجهاءها وأكابرها ما لا يطيقون ، ولا تعذرهم عند أي تقصير .

٢٩- الشورى بين الأقارب : فيحسن بالأقارب أن يكون لهم مجلس شورى ، أو أن يكون لهم رؤوس يرجعون إليهم في الملفات وما ينوب الأسرة من النوازل ؛ حتى يخرجوا برأي موحد ، أو مناسب يرضي الله ، ويوافق الحكمة والصواب . ويحسن بأولئك الرؤوس أن يكونوا من ذوي الرأي والسداد ، والحلم ، والبصيرة ، وبعد النظر .

٣٠- وأخيرا : يراعى في ذلك كله أن تكون الصلة قربة الله : خالصة لوجهه وحده لا شريك له ، وأن تكون تعاونا على البر والتقوى ، لا يقصد بها حمية الجاهلية ولا عيبتها .

صِلْ من قطعك، وأعطِ من حرمك، وأعرض عمن ظلمك

وأخيراً أخي الحبيب عليك بفواضل الأعمال، ودع عنك قبيحها وسيئها، واعمل بوصية ربك ورسولك، وتخلق بخلق الأنبياء الأخيار، واحذر سلوك الحمقى الأغمار.

عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: لقيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده فقلت: يا رسول الله، أخبرني بفواضل الأعمال؛ فقال: "يا عقبة، صِلْ من قطعك، وأعطِ من حرمك، وأعرض عمن ظلمك".

واحرص أخي المسلم أن تكون سيرتك مع أهلك وأقاربك المحسنين منهم والمسيئين كسيرة المقنع الكندي مع أهله وعشيرته، لتسعد في آخرتك، وتُحمد وتُشكر في دنياك، حيث قال مبيناً منهجه ومعاملته لهم:

يعاتبني في الدين قومي وإنما ديوني في أشياء تكسبهم حَمْداً
أسُدُّ به ما قد أخلوا وضيعوا حقوق ثغور ما أطاقوا لها سداً
و لي جفنة لا يغلق الباب دونها مكللة لحماً مدفقة ثرداً
ولي فرس نهد عتيق جعلته حجاباً لبيتي ثم أخدمته عبداً
وإن الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمي لمختلف جداً
إذا أكلوا لحمي وفرتُ لحومهم وإن هدموا مجدي بنيتُ لهم مجداً
وإن ضيعوا غيبي حفظتُ غيوبهم وإن هُمْ هَووا غيِّي هويتُ لهم رشداً
وليسوا إلى نصري سراعاً وإن هُمُ دَعَوْني إلى نصر أتيتُهم شداً
وإن زجروا طيراً بنحس يمر بي زجرت لهم طيراً يمر بهم سَعْداً
ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيسُ القوم من يحملُ الحقدا
لهم جلُّ مالي إنْ تتابع لي غنى وإن قلَّ مالي لم أكلفهم رفداً
وإني لعبد الضيف ما دام نازلاً وما شيمة لي غيرها تشبه العبدا

وأخيراً اعلم أيها الأخ الكريم أن العبرة بسلامة الصدر، وتقارب القلوب، ونقاء الطوية والسريرة، ولله در ابن عباس حين قال: "قد تقطع الرحم، وقد تكفر النعمة، ولا شيء كتقارب القلوب"؛ وفي رواية عنه: "تكفر النعمة، والرحم تقطع، والله يؤلف بين القلوب لم يُزحزحها شيء أبداً"؛ ثم تلا: "لو أنفقتَ ما في الأرض جميعاً ما ألفتَ بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم".

اللهم ألف بين قلوب المسلمين، واهدهم سبل السلام، وجنبهم الفتن والإحن والآثام.

ونسألك اللهم قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، ونسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، ونسألك من خير ما نعلم، ونعوذ بك من شر ما تعلم، ونستغفرك لما تعلم، إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وصلى الله وسلم وبارك على محمد صاحب القلب السليم، والقدر العظيم، وعلى آله وصحبه الطاهرين الطيبين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

٥- عيادة مريض

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣)[الحجرات/١٣].

إنّ دراسة الاجتماع الإسلامي أو تنظيم الإسلام للمجتمع الإنساني تدلّنا على الأسس والروابط المتينة التي بنى الإسلام عليها العلاقات الاجتماعية والقيم الإنسانية الرفيعة.

إنّ الأخلاق والقانون والتوجيه التعبّدي والمفاهيم العقيدية كلّها تصبّ في بناء الهيكل الاجتماعي وتنظيمه على أساس الحبّ والتعاون واحترام مشاعر الانسان، وتركيز مفهوم المشاركة الوجدانية والعاطفية، وتوظيف مشاعر الرحمة. واهتمام الاسلام بالانفتاح والتفاعل الاجتماعي، وحثّه على استمرار هذا السلوك يعكس لنا قيمة الحياة الاجتماعية وعنايته بالمجتمع وآدابه.

ولقد أثبتت التجارب التاريخية والحضارية أنّ الأسس والروابط المادّية وحدها لا تبني مجتمعاً متماسكاً، ولا تشيّد بنية إنسانية متينة.

ولعلّ دراسة وتحليل المجتمع المادّي المعاصر تكشف لنا عمق المأساة النفسية والاجتماعية، والجفاف الروحي، وغياب الروح الإنساني من العلاقات والروابط وإحساس الإنسان بالقلق والسأم والملل واللامعنى والغربة والوحشة.

ومن الواضح في دراسات علم النفس والأخلاق والمعايشة الحسّية أنّ إشباع الجانب النفسي والعاطفي إشباعاً سليماً لهو من أبرز حاجات الإنسان

وأكثرها تأثيراً في سعادته، بل السعادة في حقيقتها قضية نفسية، وإحساس داخلي يتمثّل بالشعور بالرضا والحبّ والطمأنينة.

والإنسان يشعر بالحاجة إلى عناية الآخرين وتعاطفهم معه في بعض مراحل حياته أكثر من مراحل ومواقف أخرى.

فهو في مرحلة الطفولة والشيخوخة والعجز والمرض والحوادث المؤلمة يحتاج إلى المواساة والإسناد العاطفي والإشعار بعناية الآخرين ورعايتهم له أكثر من حاجته إلى تلك المواقف والمشاعر في أوقات وظروف أخرى.

وإنّ افتقاد هذه المواقف من الآخرين يؤثّر تأثيراً سلبياً على شخصية الإنسان فتنعكس على علاقته بنفسه وبمجتمعه.

وانّ أخطر المشاعر المرضية التي تفرز نتائج عدوانية عند الكثير من الناس هو شعور الإنسان برفض الآخرين له وعدم احترام شخصيّته.

فمثل هذه المواقف من الآخرين، ومثل هذه المشاعر من الإنسان تصنع حالة مرضية تزيد في شقائه ومعاناته، لذا دعا الإسلام إلى المواساة والرحمة، وتفقّد الغائب، وحثّ على التزاور، وأكّد على زيارة المريض وصلة الرحم والجار واتّخاذ الإخوان والأصدقاء، ليدخل أفراد المجتمع في سلسلة من التفاعل العاطفي والوجداني الذي تفيض منه روح المواساة والعناية بالأخرى، ويزرع مشاعر الحبّ والاحترام للشخصية. الأمر الذي يساهم في بناء السلوك القويم، ويعالج حالات الزيغ والانحراف.

إنّ زيارة المريض تزرع في نفسه الإحساس بالحبّ للآخرين، وتخفف الآلام عن نفسه وتشعره برعاية إخوانه وذويه وأصدقائه ومجتمعه له. وكثيراً ما يبدأ المريض الذي يصاب بمرض مؤلم، أو طويل أو مرض

يشعره بالخطر على حياته، كثيراً ما يبدأ بعد الشفاء سلوكاً جديداً وعلاقات إنسانية أكثر إيجابية وصواباً، لاسيّما إذا وجد من يعينه على العلاج والشفاء، وتخفيف الآلام مادّياً ومعنوياً.

لذا نجد القرآن الكريم يؤكد على التعارف والتعاون والمواساة بين أفراد المجتمع.

وفي وصايا الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة الهداة، نقرأ توجيهات وإرشادات قيّمة في هذا المجال نذكر منها ما روي في عيادة المرضى والتعاطف معهم كقوله صلى الله عليه وآله : " إذا زار المسلم أخاه في الله عزّ وجلّ . أو عاده . قال الله عزّ وجلّ: طبت وتبوّأت من الجنّة منزلاً ".

وروى البراء بن عازب قال:(أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بسبع، ونهانا عن سبع. قال: فذكر ما أمرهم من عيادة المريض، واتّباع الجنائز، وتشميت العاطس، وردّ السلام، وإبرار المقسم، وإجابة الداعي، ونصر المظلوم. ونهانا عن آنية الفضّة، وعن خاتم الذهب، والاستبرق، والحرير، والديباج، والميثرة، والقسي).

وروي عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قوله:

(إنّ عائد المريض يخوض في الرحمة فإذا جلس غمرته).

وروي عنه (صلى الله عليه وآله) أيضاً:

(ما من رجل يعود مريضاً فيجلس عنده إلاّ تغشّته الرحمة من كلّ جانب ما جلس عنده، فإذا خرج من عنده كتب له أجر صيام يوم).

وكما تدعو الوصايا والتوجيهات الإسلامية إلى عيادة المريض تؤكّد أيضاً على تكريم المريض وحمل الهدية إليه، لإشعاره بالسرور وموقف زائريه الودّي منه.

ومن الاهتمامات النفسية التي اعتنى بها الأدب الاجتماعي الإسلامي هو إسماع المريض الكلمات الطيّبة، والدعاء له بالشفاء، وحثّه على الصبر، ممّا يشيع في نفسه عواطف المحبّة والإحساس باهتمام الآخرين به، فترتفع معنويّته لمقاومة المرض وإيجاد الأمل والرجاء أو تقويتهما في نفسه.

إنّ الرسول صلى الله عليه وآله يوجّهنا إلى هذا التعامل مع المريض فيقول:

(إنّ من تمام عيادة أحدكم أخاه أن يضع يده عليه، فيسأله كيف أصبح وكيف أمسى).

زار رسول الله صلى الله عليه وآله الصحابي الجليل سلمان (رضي الله عنه) فقال:

(يا سلمان شفى الله سقمك، وغفر ذنبك، وعافاك في دينك وجسدك إلى مدّة أجلك).

والإسلام في كلّ قيمه وآدابه وأصول علاقاته يتسم بسموّ الذوق، ومراعاة أرقى آداب اللياقة الاجتماعية، واحترام الجانب النفسي في الإنسان لذا دعا إلى تخفيف زيارة المريض، وعدم إطالة الجلوس عنده، للحرص على راحته الجسمية والنفسية وسلامة الزائر الصحية. فانّ بعض الزوّار يؤذي المريض بطول الزيارة والجلوس وكثرة الكلام، لذا ورد في الإرشاد النبوي الكريم:

(خير العيادة أخفّها).

وورد عنه صلى الله عليه وآله أيضاً: (العيادة فواق ناقة).

بل يشتدّ الحثّ على تخفيف الزيارة والرغبة في قصر المكوث عند المريض ما لم يحبّ البقاء عنده في قول الرسول صلى الله عليه وآله: (إنّ أعظم العيادة أجراً أخفّها).

وفي قوله صلى الله عليه وآله : (إنّ من أعظم العوّاد أجراً عند الله لمن إذا عاد أخاه خفّف الجلوس، إلاّ أن يكون المريض يحبّ ذلك ويريد، ويسأله ذلك).

وهكذا تتكامل قواعد وأصول الأدب الاجتماعي في زيارة المريض متفاعلة مع أبعاد الحالة النفسية والعقيدية ومعطية أفضل النتائج الاجتماعية بما تزرعه من حبّ وتعارف وإشعار بروح الإخوّة والمواساة.

هديه صلى الله عليه وسلم في عيادة المريض

إذا كانت النفوس قد جُبلت على حبّ من أحسن إليها وأظهر اهتمامه بها ، فإنّ هذه المحبّة تتعاظم في أحوال الضعف البشري ، حين يلزم المرء الفراش ، وتصيبه العلل ، وتنهكه الأدواء ، عندها يكون للزيارة أثرٌ بالغٌ ومدلولٌ عميقٌ على مدى التعاطف والمواساة التي يقدّمها الزائر لمريضه ، مما يسهم في تقوية الروابط بينهما .

لهذا السبب حرص النبي – صلى الله عليه وسلم – على زيارة المرضى وتفقّد أحوالهم ، بل جعل ذلك من حقوق المسلمين المكفولة في الشرع ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " حق المسلم على المسلم خمس - وذكر منها - عيادة المريض " رواه البخاري .

وقد عمل النبي – صلى الله عليه وسلم – على ترسيخ هذا المبدأ في نفوس أصحابه من خلال ذكر الفضائل العظيمة التي يجنيها المسلم إذا زار أخاه ، فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " من أتى أخاه المسلم عائدا ، مشى في خرافة الجنة – أي طرق الجنة - حتى يجلس ، فإذا جلس غمرته الرحمة ، فإن كان غدوةً صلّى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي ، وإن كان مساء صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح " رواه ابن ماجة .

وقوله : " من عاد مريضا أو زار أخا له في الله ، ناداه مناد : أن طبت وطاب ممشاك ، وتبوأت من الجنة منزلاً " رواه الترمذي .

وقوله: " ما من عبد مسلم يعود مريضا لم يحضر أجله ، فيقول سبع مرات : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك ، إلا عوفي " رواه الترمذي .

والأخبار في زيارة النبي – صلى الله عليه وسلم - للمرضى كثيرة ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يتفقّد أحوال أصحابه ويسأل عنهم ، ويطمئن على صحّتهم ، ويشملهم بالرعاية ، ومن أولئك سعد بن أبي وقاص ، و زيد بن الأرقم ، و جابر بن عبد الله ، رضي الله عنهم أجمعين .

ولم تكن زياراته - صلى الله عليه وسلم - مقتصرة على أصحابه الذين آمنوا به ، بل امتدت لتشمل غير المؤمنين طمعاً في هدايتهم ، كما فعل مع الغلام اليهودي الذي كان يعمل عنده خادماً ، فقد مرض الغلام مرضاً شديداً ، فظلّ النبي – صلى الله عليه وسلم – يزوره ويتعاهده ، حتى إذا شارف على الموت عاده وجلس عند رأسه ، ثم دعاه إلى الإسلام ، فنظر الغلام إلى أبيه متسائلاً ، فقال له : أطع أبا القاسم ، فأسلم ثم فاضت روحه ، فخرج

النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول : " الحمد لله الذي أنقذه من النار" رواه البخاري .

وتطلعنا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم على هديه النبوي في زيارة المرضى ، فكان إذا سمع بمرض أحد بادر إلى زيارته والوقوف بجانبه ، وتلبية رغباته واحتياجاته ، ثم الدعاء له بالشفاء وتكفير الذنوب إن كان مسلما ، ودعوته للإسلام إن كان غير ذلك ، ومن دعائه ما ذكرته عائشة رضي الله عنها أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول إذا أتى مريضا : " أذهبِ البأس ، رب الناس ، اشفِ وأنت الشافي ، لا شفاء الا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما " متفق عليه .

وإذا احتاج المريض إلى رقية بادر عليه الصلاة والسلام إليها ، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول للمريض : " بسم الله ، تربة أرضنا ، بريقة بعضنا ، يشفى سقيمنا بإذن ربنا " متفق عليه ، وربما صبّ على بعضهم من ماء وضوئه المبارك فيشفى بإذن الله ، كما فعل مع جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

ومن السنن القولية التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يخفّف بها عن المرضى ، تذكيرهم بالأجر الذي يلقاه العبد المبتلى ، للتخفيف من معاناتهم، وتربّيتهم على الصبر واحتساب الأجر ، ومن جملة هذه السنن قوله صلى الله عليه وسلم : " ما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة " رواه ابن ماجة ، وقوله : " ما من عبد يبتليه الله عز وجل ببلاء في جسده ، إلا قال الله عز وجل للملك : " اكتب له صالح عمله الذي كان يعمله " ، فإن شفاه الله غسله وطهّره ، وإن قبضه غفر له ورحمه " رواه أحمد ، وعندما قام النبي صلى الله عليه وسلم بزيارة أم السائب رضي الله عنها فسمعها تسبّ الحمى التي أصابتها ، فقال لها : " لا تسّبي

الحمى ؛ فإنها تُذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد " رواه مسلم .

ومن ذلك أيضاً إرشاده عليه الصلاة والسلام إلى التداوي بأنواع العلاجات المختلفة التي يعرفها ، كالحثّ على الحجامة ، ووضع الماء البارد على المحموم ، والإرشاد إلى العلاج بالعسل والحبة السوداء ، وغير ذلك من العلاجات المباحة غير المحرّمة التي يشملها قوله صلى الله عليه وسلم : " يا عباد الله تداووا ؛ فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواءً " رواه الترمذي .

ولم يكن عليه الصلاة والسلام يغفل جانب التذكير والنصح بما يناسب المقام ، فمرّةً يذكّر بحق الأقرباء في الإرث وينهى عن الوصية بما يزيد عن الثلث – كما فعل مع سعد بن أبي وقاص - ، ومرة يشير إلى أهمية اجتماع الخوف والرجاء في مرض الموت كما حصل عند احتضار أحد الصحابة ، وثالثة ينهى عن تمنّي الموت وضرورة الاستعداد للقاء الله كما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه .

وهكذا ضرب لنا عليه الصلاة والسلام أعظم الأسوة في أهمية كسب القلوب واستغلال الأحوال المختلفة في دعوة الناس وهدايتهم ، لعل مغاليق القلوب تفتح أبوابها للهدى والحق .

٦- زيارة الجار

قال تعالى : (وَٱلۡجَارِ ذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ) [النساء : ٣٦].

قال أبو جعفر الطبري في تفسيره :

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك.

فقال بعضهم: معنى ذلك: والجار ذي القرابة والرحم منك.

*ذكر من قال ذلك:

- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله:"والجار ذي القربى"، يعني: الذي بينك وبينه قرابة.

- حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس:"والجار ذي القربى"، يعني: ذا الرَّحم.

- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة وابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله:"والجار ذي القربى"، قال: جارك، هو ذو قرابتك.

- حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن إسرائيل، عن جابر، عن عكرمة ومجاهد في قوله:"والجار ذي القربى"، قالا القرابة.

- حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال، حدثنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك في قوله:"والجار ذي القربى"، قال: جارك الذي بينك وبينه قرابة.

- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد:"والجار ذي القربى"، جارك ذو القرابة.

- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة:"والجار ذي القربى"، إذا كان له جار له رحم، فله حقّان اثنان: حق القرابة، وحق الجار.

- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله:"والجار ذي القربى"، قال: الجار ذو القربى، ذو قرابتك.

وقال آخرون: بل هو جارُ ذي قرابتك.

* ذكر من قال ذلك:

- حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا جرير، عن ليث، عن ميمون بن مهران في قوله:"والجار ذي القربى" قال: الرجل يتوسل إليك بجوار ذي قرابتك.

قال أبو جعفر: وهذا القول قولٌ مخالفٌ المعروفَ من كلام العرب. وذلك أن الموصوف بأنه"ذو القرابة" في قوله:"والجار ذي القربى"،"الجار" دون غيره. فجعله قائل هذه المقالة جار ذي القرابة. ولو كان معنى الكلام كما قال ميمون بن مهران لقيل:"وجار ذي القربى"، ولم يُقَل:"والجار ذي القربى". فكان يكون حينئذ - إذا أضيف"الجار" إلى"ذي

القرابـة" - الوصـية ببـرّ جـار ذي القرابـة، دون الجـار ذي القربـى. وأمـا و"الجـار" بـالألف والـلام، فغيـر جـائز أن يكـوى"ذي القربـى" إلا مـن صفة"الجار". وإذا كان ذلك كذلك، كانت الوصية من الله في قولـه:"والجار ذي القربى" ببرّ الجار ذي القربى، دون جار ذي القرابة. وكـان بيئًـا خطـأ ما قال ميمون بن مهران في ذلك.

وقال آخرون: معنى ذلك: والجار ذي القربى منكم بالإسلام.

* ذكر من قال ذلك:

- حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال، حدثنا عبيد الله بن موسى قال، حـدثنا سـفيان عـن أبـي إسـحاق، عـن نَـوْف الشـامي:"والجار ذي القربـى"، المسلم.

قال أبو جعفر: وهذا أيضًا ممـا لا معنـى لـه. وذلـك أن تأويـل كتـاب الله تبارك وتعالى، غير جائز صرفه إلا إلى الأغلب من كلام العرب الذين نزل بلسانهم القرآن، المعروفِ فيهم، دون الأنكر الذي لا تتعارفه، إلا أن يقوم بخلاف ذلك حجة يجب التسليم لها. وإذا كان ذلك كذلك = وكـان معلومًـا أن المتعـارف مـن كـلام العـرب إذا قيـل:"فلان ذو قرابـة"، إنمـا يعنـي بـه: إنـه قريـب الـرحم منـه، دون القـرب بالـدين = كـان صـرفه إلـى القرابـة بـالرحم، أولى من صرفه إلى القرب بالدين.

القول في تأويل قوله : (وَالْجَارِ الْجُنُبِ) .

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك.

فقال بعضهم: معنى ذلك: والجار البعيد الذي لا قرابة بينك وبينه.

* ذكر من قال ذلك:

- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس:"والجار الجنب"، الذي ليس بينك وبينه قرابة.

- حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس:"والجار الجنب"، يعني: الجار من قوم جنب.

- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة:"والجار الجنب"، الذي ليس بينهما قرابة، وهو جار، فله حق الجوار.

- حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي:"والجار الجنب"، الجار الغريب يكون من القوم.

- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة وابن أبي نجيح، عن مجاهد:"والجار الجنب"، جارك من قوم آخرين.

- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد:"والجار الجنب"، جارك لا قرابة بينك وبينه، البعيد في النسب وهو جار.

- حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن إسرائيل، عن جابر، عن عكرمة ومجاهد في قوله:"والجار الجنب"، قال: المجانب.

- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله:"والجار الجنب"، الذي ليس بينك وبينه رَحمٌ ولا قرابة.

- حدثني يحيى بن أبي طالب قال، حدثنا يزيد قال، أخبرنا جويبر، عن الضحاك:"والجار الجنب"، قال: من قوم آخرين.

وقال آخرون: هو الجار المشرك.

* ذكر من قال ذلك:

- حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال، حدثنا عبيد الله بن موسى قال، حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن نوف الشامي:"والجار الجنب"، قال: اليهوديّ والنصرانيّ.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال:"معنى، الجنب، في هذا الموضع: الغريبُ البعيد، مسلمًا كان أو مشركًا، يهوديًا كان أو نصرانيًا"، لما بينا قبل من أن"الجار ذي القربى"، هو الجار ذو القرابة والرحم. والواجب أن يكون"الجار ذو الجنابة"، الجار البعيد، ليكون ذلك وصية بجميع أصناف الجيران قريبهم وبعيدهم.

وبعد، فإن"الجُنب"، في كلام العرب: البعيد، كما قال أعشى بني قيس:

أَتَيْتُ حُرَيْثًا زَائِرًا عَنْ جَنَابَةٍ... فَكانَ حُرَيْثٌ فِي عَطَائِي جَامِدَا

يعني بقوله:"عن جنابة"، عن بعد وغُربة. ومنه، قيل:"اجتنب فلان فلانًا"، إذا بعد منه ="وتجنّبه"، و"جنَّبه خيره"، إذا منعه إياه. ومنه قيل للجنب:"جُنُب"، لاعتزاله الصلاة حتى يغتسل.

فمعنى ذلك: والجار المجانب للقرابة.انتهى

وأما السنة النبوية فلم تغفل جانب الجار ولا حقوقه ، فقد ورد أحاديث كثيرة في الإحسان إلى الجار ، نذكر منها :

عن ابن عمر وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قالا قال رَسُول اللَّـهِ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّم:" مـا زال جبريـل يوصـيني بالجـار حتـى ظننـت أنـه سـيورثه" متفق عَلَيْهِ.

وعن أبـي ذر رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ قـال، قـال رَسُـول اللَّـهِ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّم:" يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك "رواه مُسْلِمٌ.

وفـي روايـة لـه عن أبـي ذر قـال: " إن خليلـي صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّم أوصاني إذا طبخت مرقاً فأكثر ماءه ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف" .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قـال:" والله لا يـؤمن، والله لا يـؤمن، والله لا يؤمن!قيـل: مـن يـا رَسُـول اللَّـهِ؟ قـال: الذي لا يأمن جاره بوائقه" متفق عَلَيْهِ.

وفي رواية لمسلم: لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه.

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّم:" يـا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة " متفق عَلَيْهِ.

وعن عبد اللَّه بن عمرو رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ قـال، قـال رَسُـول اللَّـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّم:" خير الأصـحاب عند اللَّـه تعـالى خيرهم لصـاحبه، وخير الجيران عند اللَّه خيرهم لجاره ". رواه التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيْثٌ حَسَنٌ.

٧- الإصلاح بين الناس

(إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾) [الحجرات :١٠].

أيها الأخ الكريم: النفوس الطيبة لا تألف الشقاق ولا تنسجم معه ، بل تعده بيئة ملوثة بعيدة عن الصفاء ، نافرة من النقاء ، ولذلك فهي لا تستظل إلا بأفياء الطهر ، ولا تأنس إلا بنسائم الأخوة ، ولا ترتاح إلا بين مروج الحب وأزهار الود ، ولذلك فإنك ترى أحدهم لا يقر له قرار حينما تعصف بالأحبة عواصف الشحناء ، أو تهب عليهم ريح البغضاء ، وسوف تراه كحمامة السلام لا تهجع إلا بعد أن تعيد إلى القلوب ألفتها ، وإلى النفوس صفاءها ، فيا برد فؤاد المصلح بين ذات البين ، ويا لطيب خاطره الشفوق .

إن ثمرة هذه الحديقة مرضاة من الله وأجر عظيم ، ﴿ ۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء: ١١٤].

ابدأ صلحَك بين أخويك بالدعاء أن يشرح الله قلبهما لهذا الخير ، فإن الله يقول : ﴿ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ ﴾ [النساء: ١٢٨].

قرّب بين وجهات النظر ، وقلل من شأن نقاط الاختلاف ، وتودد لهما ، وأخبر كل واحد منهما بمحبة أخيه له ، وأنه لا يحمل في قلبه عداءً أو حقدًا عليه ، ولو كان ذلك بالكذب ، فإن النبي ﷺ يقول : " لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا " رواه البخاري.

وإصلاحك بين أخويك صدقة ، فلا تنس أن تحتسب الأجر فيها ، فهو سر التوفيق ، ومفتاح الإصلاح ، وسبيل القبول ، فإن النبي ﷺ يقول : " كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ : تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ " متفق عليه .

٨- الإنفاق والصدقة في سبيل الله

أيها الحبيب : وعود ربانية ، وقروض مضاعفة ، وأجور كريمة ، وجنان أكلها دائم وظلها ، لمن تكرّم بالصدقة السخية ، طيبة بها نفسه ، سعيدة بها روحه ، تتراءى له آيات الوعد الكريم : (مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١١﴾) [الحديد : ١١].

(ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾) [البقرة: ٢٧٤].

الصدقة نبع ثر يجرف مسيله كل أدران الحياة وعراقيلها ، والنفقة في وجوه المعروف بلسم الشفاء من عظيم الأدواء ، والعطاء في السر بركة للمال وَعَدَ بها رب الأرض والسماء ؛ ﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سبأ : ٣٩].

صدقتك . أيها المحسن الكريم . بذرة بذرها أكرم من وطأ الثرى عليه الصلاة والسلام ، " فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ " رواه البخاري .

وإليك هذه القصة : ففي غرفة ذات أسرة بيضاء كان يرقد على السرير الأوسط رجل في غيبوبة تامة ، لا يعي ما حوله من أجهزة مراقبة التنفس والنبض وأنابيب المحاليل الطبية .

وفي كل يوم منذ أكثر من عام ودون انقطاع كانت تزور ذلك الرجل زوجته ومعها صبي لهما في الرابعة عشر من عمره ، ينظران إليه في حنان وشفقة ويغيران ملابسه ويتفقدان أحواله ويسألان الأطباء عنه ، ولا جديد في الأمر ، الحالة كما هي ، لا تقدم ولا تأخر في صحته ، غيبوبة تامة ، وأمل مفقود من شفائه إلا من الله تعالى ، غير أن هذه المرأة الصبور والصبي اليافع كانا لا يتركانه حتى يرفعا أكف الضراعة إلى الله سبحانه ، فيدعوا له بالشفاء والعافية ، ولسان حالهما يقول :

أنت المنادَى به في كل حادثة وأنت ملجأ من ضاقت به الحيلُ

أنت الغياثُ لمن سُدّت مذاهبُه أنت الدليل لمن ضلّت به السبلُ

ويغادران المستشفى ليعودا مرة أخرى للزيارة في نفس اليوم ، وهكذا كل يوم بلا انقطاع أو سآمة أو ملل ، قلوب اجتمعت على الحب ، وتآلفت على الصدق ، وأزهرت في الشدائد أجمل ورود الصبر والحنان والرأفة .

ويظل المرضى وهيئة التمريض والأطباء في استغراب تام من زيارة المرأة والصبي لهذا الرجل شبه الميّت ، مع أنه لا جديد في حياة المريض ، فيا لله العجب : ما هذا الإصرار العجيب على تكرار الزيارة مرتين في اليوم ، مع أن المريض المسجى لا يعي أي شيء حوله ، صارحها الأطباء وأعوانهم بعدم جدوى زيارتها له ، وشفقًا عليها وعلى ابنها دعوها للزيارة مرة في الأسبوع ، وكانت المرأة الشفوق لا ترد إلا بكلمة : الله المستعان .. الله المستعان .. .

وذات يوم .. وقبل زيارة الزوجة والصبي في وقت قصير ، حدث أمر غريب ، وحادث مثير ، إنه الرجل المصاب يتحرك في سريره ، يتقلب من جنب إلى جنب ، وما هي إلا لحظات وإذا بالرجل يفتح عينيه ، ويبعد جهاز الأكسجين عن نفسه ، ويعتدل في جلسته ، ثم ينادي الممرضة وسط ذهول الحضور ، وطلب منها إبعاد الأجهزة الطبية المساعدة ، فرفضت واستدعت الطبيب الذي كان في حالة ذهول تام ، وأجرى فحوصات سريعة له ، فوجد الرجل في منتهى الصحة والعافية ، وطلب إبعاد الأجهزة وتنظيف مكانها في جسده .

وكان موعد الزيارة المعهودة من تلك الزوجة المخلصة قد حان وقته ، فدخلت المرأة والصبي على حبيبهما ، فبأي وصف تريدني -يا رعاك الله - أن أصف تلك اللحظات الحنونة ، وبأي الكلمات تريدني أن أصوغها لك .. إنها نظرات تعانق نظرات ، ودموع تمتزج بدموع ، وابتسامات حائرات على الشفاه ، أخرست المشاعرُ الألسنة إلا بالحمد والثناء لله الكريم ، المنعم ، المتفضل ، المجيب ، الذي أتم نعمة العافية على زوجها .

لم تنته القصة بعد يا أهل المعروف ، فما زال في الحكاية سر ، فإن الطبيب لم يحتمل الصبر حتى يكتشفه ، فتوجه للزوجة بسؤالها قائلاً : هل توقعت أن تجديه يومًا ما بهذه الحالة ؟ فقالت : نعم والله ، كنت أتوقع أن أدخل عليه يومًا وأجده جالسًا بانتظارنا .

فقال لها : إن هناك شيئًا ما حصل ، ليس للمستشفى أو الأطباء دور فيه، فبالله عليك أخبريني ، لماذا تأتين يوميًا مرتين ، وماذا تفعلين ؟ قالت : بما أنك سألتني بالله ، فأقول لك : كنت أزور زوجي الزيارة الأولى للاطمئنان عليه والدعاء له ، ثم أذهب أنا وابني للفقراء والمساكين ونقدم لهم الصدقات ، بغية التقرب إلى الله لشفائه ..

فلم يخيب الله رجاءها ودعاءها ، فخرجت في آخر زيارة وزوجها معها إلى البيت الذي طال انتظاره لعودة صاحبه إليه ، لتعود البسمة والفرحة له وإلى أفراد أسرته .

فما أينع هذا الثمر ، وما ألذ مذاقه ،﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

فضل الله كبير فهو القائل : ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٢]، فلنبحث عن طرقه ومواطنه ، وإن من أجل مواطنه الإنفاق على الأهل والأقارب بنية القربة إلى الله تعالى ، فهذه أم سلمة رضي الله عنها تأتي إلى النبي ﷺ فتقول له : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ لِي مِنْ أَجْرٍ فِي بَنِي أَبِي سَلَمَةَ أَنْ أُنْفِقَ عَلَيْهِمْ وَلَسْتُ بِتَارِكَتِهِمْ هَكَذَا وَهَكَذَا إِنَّمَا هُمْ بَنِيَّ ؟ قَالَ : نَعَمْ لَكِ أَجْرُ مَا أَنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ) رواه البخاري .

وهل يخلو يوم لا ننفق فيه على أزواجنا وأولادنا ؟! غير أن الأمر يحتاج إلى احتساب وطلب أجر من رب العالمين ، فإن النبي ﷺ قَالَ : (إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ) رواه البخاري .

فإن كتب الله لك البركة في رزقك فلا تبخل على نفسك وإخوانك في بلدك وخارجه من نفقة مباركة قليلة أو كثيرة :

أما قليلة ، فتذكرني بما ذكره لي أحد أئمة المساجد من أنه كان يعظم في أحد عمال النظافة المساكين سرعة استجابته لنداء الإنفاق في سبيل الله ،

فإنه مع ضعفه ومسكنته كان لا يتردد عن ذلك ، بل كان كل مرة يبذل نصف جنيه أو قريبًا منه ما استطاع إلى ذلك سبيلا ..

نصف جنيه فقط !! انتبه أن تقع في نفسك موقع الاحتقار ، فإن لها عند الله بإذنه شأنًا عظيمًا ، أتعلم لماذا ؟ لأن النبي ﷺ يقول : (مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ) رواه البخاري .

إنه نصف جنيه فقط .. لكنه ربما تحوّل إلى وقاية عاصمة بإذن الله من نار السعير ، ألا تذكر معي قول النبي ﷺ : (اتقوا النار ولو بشق تمرة) متفق عليه .

وأما أن تكون نفقتك كثيرة ، فتذكر ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ ، قَالَ أَنَسٌ : فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : (لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ) ، قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : (لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ) ، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَخٍ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ : أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ،فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ) رواه البخاري .

أخي الحبيب : كن واحدًا ممن تدعوا له الملائكة : (اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا) رواه البخاري .

أخي الحبيب : كن واحدًا ممن ينفق الله عليهم ، فإنه يقول في الحديث القدسي : (أنفق يا ابن آدم يُنْفق عليك) متفق عليه .

أخي الحبيب : كن على يقين من أن ما أنفقته باق ولم يفن ، وإنما الفناء لما أمسكنا :

أنت للمال إذا أمسكته فإذا أنفقته فالمال لك

عن عَائِشَةَ ﵂ : أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (مَا بَقِيَ مِنْهَا ؟ قَالَتْ : مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا ، قَالَ : بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا) رواه الترمذي وقال : هذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ .

لا .. ليس ما أنفقنا باق فقط ، بل يزيد ويزيد ، فإن النبي ﷺ قَالَ : (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ) رواه مسلم .

واستمع إلى هذا الحديث : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : (بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ : اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ [والشرجة : مسيل الماء] ، قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، مَا اسْمُكَ : قَالَ فُلَانٌ لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي ، فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ ، يَقُولُ : اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا ؟ قَالَ : أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا ، فَإِنِّي أَنْظُرُ

إلى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا ، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ ، وفي رواية : وَأَجْعَلُ ثُلُثَهُ فِي الْمَسَاكِينِ وَالسَّائِلِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ) رواه مسلم .

الإنفاق خلق جميل ، ويتضاعف جماله إذا كان على حال من الحاجة أو العوز ، فيلتقي الكرم فيه والإيثار ، دعني أحدثك بما عجب الله منه وهو الكريم المنان سبحانه : عن أبي هريرة ﷺ قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني مجهود [أي : بي سوء عيش وجوع] ، فأرسل النبي ﷺ إلى بعض نسائه ، فقالت : والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء ، ثم أرسل إلى أخرى ، فقالت مثل ذلك ، حتى قلن كلهن ذلك، لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء ، فقال النبي ﷺ : من يضيّف هذا الليلة ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله ، فانطلق به إلى رحله ، فقال لامرأته : أكرمي ضيف رسول الله ﷺ ، وفي رواية قال لامرأته : هل عندك شيء ؟ قالت : لا ، إلا قوت صبياني ، قال : فعلليهم بشيء وإذا أرادوا العشاء فنوميهم ، وإذا دخل ضيفنا ، فأطفئي السراج ، وأريه أنا نأكل ، فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين ، فلمّا أصبح غدا على النبي ﷺ فقال :((لقد عجب الله من صنيعكما بضيفيكما الليلة))متفق عليه .

إنه مجتمع تربى على أخلاق النبوة ، واستقى من نبعها الصافي ، مجتمع لا يعرف الأنانية والأثرة ، هاك صنفًا من أصنافه يمتدحه النبي ﷺ بصفة مثالية كريمة ، لو سارت الأمة عليه اليوم ما بقي فيها فقير واحد ، إنهم الأشعريون ، الذين قال النبي ﷺ فيهم : (إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ

لقد أعجبتني حادثتين ذكرهما الشيخ علي الطنطاوي - رحمه الله - في ذكرياته ، فقال في التمهيد لهما : ((لقد كان شيخ أبي الشيخ سليم المسوتي - رحمه الله - على فقره لا يرد سائلاً قط ، ولطالما لبس الجبة أو الفروة فلقي

برادنًا يرتجف فنزعها فدفعها إليه وعاد إلى البيت بالإزار ،وطالما أخذ السفرة من أمام عياله فأعطاها السائل ، وكان يومًا في رمضان وقد وضعت المائدة انتظارًا للمدفع ، فجاء سائل يقسم أنه وعياله بلا طعام ، فابتغى الشيخ غفلة من امرأته وفتح له وأعطاه الطعام كله ؟ فلما رأت ذلك امرأته ، ولولت عليه وصاحت وأقسمت أنها لا تقعد عنده ، وهو ساكت ، فلم تمر نصف ساعة حتى قُرع الباب ، وجاء من يحمل أطباقًا فيها ألوانًا من الطعام والحلوى والفاكهة ، فسألوا : ما الخبر ؟ وإذا الخبر أن [الأمير] كان قد دعا بعض الكبار فاعتذروا فغضب وحلف ألا يأكل من الطعام وأمر بحمله كله إلى دار الشيخ سليم المسوتي رحمه الله ؟

ولم أر كالمعروف أما مذاقه فحلو وأما لونه فجميل

أما القصة الأخرى : فهي قصة المرأة التي سافر ولدها ، وكانت قد قعدت يومًا تأكل وليس أمامها إلا لقمة إدام وقطعة خبز ، فجاء سائل فمنعت عن فمها اللقمة وأعطته إياها ، وباتت جائعة ، فلما جاء الولد من سفره جعل يحدثها بما رأى في سفره ، قال : ومن أعجب ما مرَّ بي : أنه لحقني أسد في الطريق ، وكنت وحدي فهربت منه ، فوثب علي وما شعرت إلا وقد صرت في فمه ، وإذا برجل عليه ثياب بيض يظهر أمامي فيخلصني منه ، ويقول : لقمة بلقمة ، ولم أفهم مراده . فسألته أمه عن وقت هذا الحادث وإذا هو في اليوم الذي تصدقت فيه على الفقير ، نزعت اللقمة من فمها لتنفقها في سبيل الله ، فنُزع ولدُها من فم الأسد)انتهى كلامه رحمه الله

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

ويا لتعاسة البخل ما ألبس صاحبه إلا ثوب دناءة وذل ، عطبٌ حصاده ، منتنة رائحته ، لا يورّث إلا الهلاك للأفراد والأمم والشعوب ، يقول الصادق المصدوق ‘: (اتَّقُوا الشُّحَّ ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ) رواه مسلم .

صنائع المعروف تقي مصارع السوء

"لا يذهب الفضل بين الله والناس"

من توفيق الله عز وجل لرسوله قبل البعثة، زواجه من خديجة رضي الله عنها، وذلك لرجاحة عقلها، وحسن خلقها، وكمال تدبيرها، وقد ظهر ذلك جلياً عندما رجع إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم من غار حراء عندما بدئ بالوحي: "ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة فقال: زملوني زملوني؛ فزملوه حتى ذهب عنه الروع.. فأخبرها الخبر، قال: وقد خشيتُ عليَّ، فقالت: لا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرَّحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق".

لقد استدلت خديجة رضي الله عنها بأن الله لن يخزيه بهذه الأعمال الجليلة التي عرفت عنه قبل بعثته صلى الله عليه وسلم، وهي:

١. صلته للرحم.

٢. صدقه في القول، حتى كان يلقب في الجاهلية بالصادق الأمين.

٣. إحسانه وإنفاقه على الفقراء، والأيتام، والأرامل.

٤. اقراؤه الضيف وإكرامه له.

٥. إعانته لمن أصابتهم جائحة أوحلت بهم مصيبة.

لقد جمعت هذه الصفات أمهات صنائع المعروف، ولم ترد خديجة رضي الله عنها أن تصفه بكل ما كان يتصف به من تلك الصفات، ولكنها أشارت إلى أهمها، ولا شك أن هناك صفات كثيرة غيرها، كان متحلياً بها صلى الله عليه وسلم.

قال الإمام النووي: (قال العلماء: معنى كلام خديجة رضي الله عنها:

أنك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكرم الشمائل، وذكرت ضروباً من ذلك، وفي هذا دلالة على أن مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب للسلامة من مصارع السوء).

فمن أراد أن يقيه الله مصارع السوء فعليه القيام ببعض هذه الأعمال، فكل ميسر لما خلق له، ومن وفقه الله للقيام بها كلها أوجلها فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

يزداد ثواب وفضل أعمال الخير بفضل الزمان والمكان، وليس هناك زمان أفضل من رمضان، ولا عمل أزكى من الصيام، فمن زاد فالله أزيد وأكرم.

الفهرس

- المقدمة ٥
- قضاء حوائج الناس ٧
- السعي في الشفاعة للآخرين لدى المسئولين وذوي السلطان ٢١
- حضور مجلس علم وذكر ٣١
- صلة الرحم وزيارة الأقارب ٤١
- زيارة مريض ٧٠
- زيارة الجار ٧٨
- الإصلاح بين الناس ٨٤
- الإنفاق والتصدق على المساكين والفقراء ٨٦
- الخاتمة ٩٤